لفتة الكبد

إلى

نصيحة الولد

تأليف

الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي

٥١٠ - ٥٩٧ هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الحميد محمد الدرويش

دار المقتبس

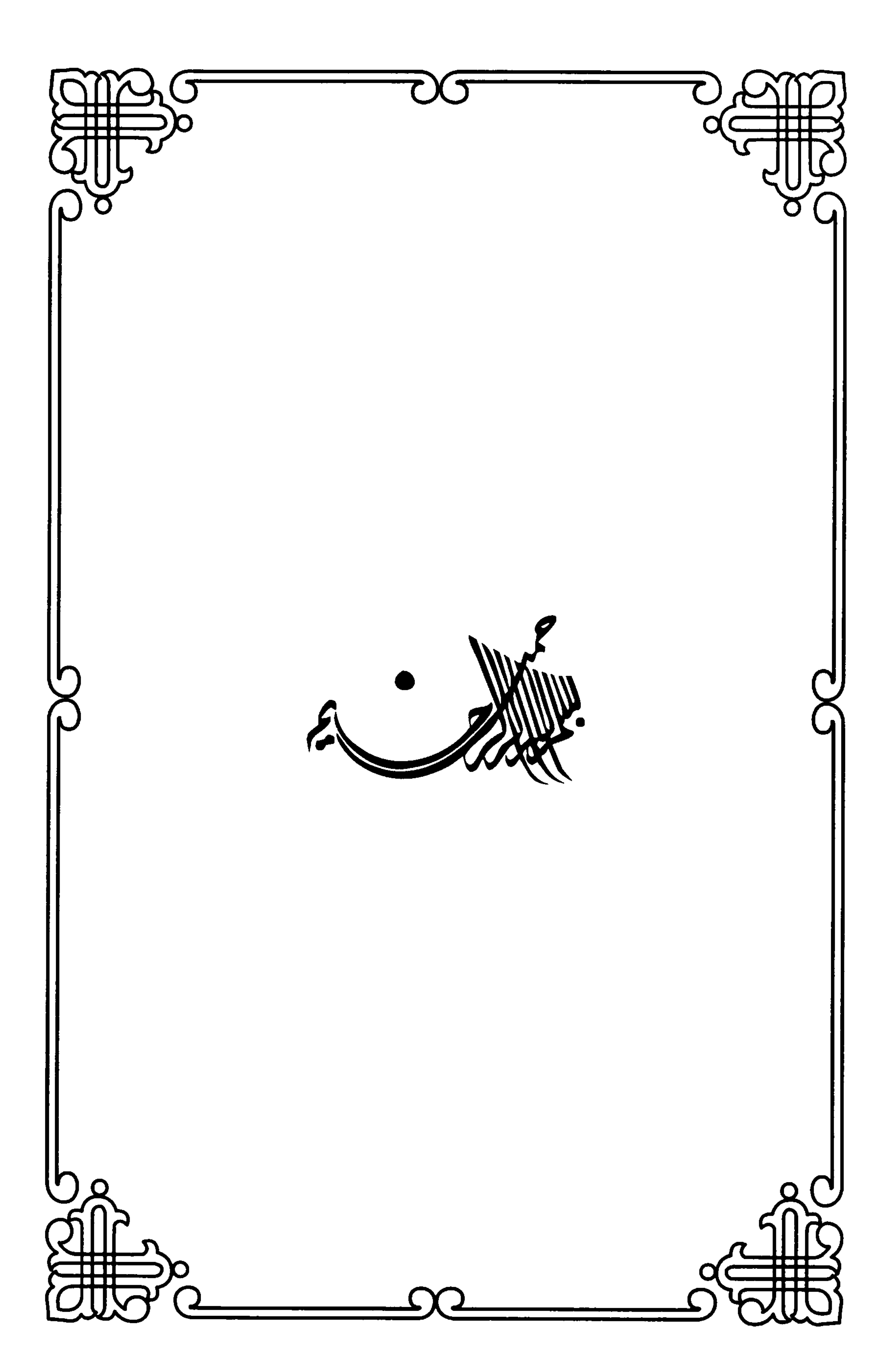


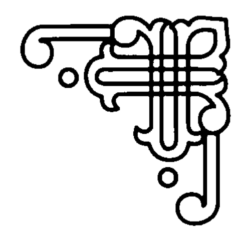

لفتة الكبد
إلى
نصيحة الولد

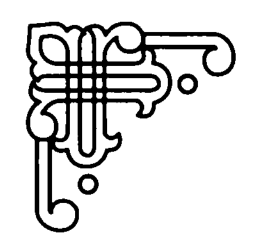


الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار المقتبس
بيروت - لبنان - ص. ب: (١٤/٦٧٥٩)


بسم الله الرحمن الرحيم





مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين حملة الدين، الذابين عن حياضه كيد الكائدين وبعد:

إن فن كتابة الوصايا فنٌّ اتبعه العلماء السابقين، حيث سطر كل علمٍ منهم وصيته في ورقات، فقد تكون هذه الورقات التي يسطرها المؤلف إما لأبنائه، فيعطيهم الخبرة في حياته الدنيوية، وإما أن يسطر لهم سيرته الذاتية كما فعل ذلك الحافظ ابن الجوزي في رسالته هذه فجمعهما معاً حيث سطرها لابنه محمد المكنى أبا القاسم المولود سنة ٥٨٠هـ المتوفى مقتولاً في وقعة التتار ببغداد سنة ٦٥٦هـ. وقد تكون الوصية عامة كما فعل ابن قدامة رحمه الله تعالى في وصيته.

هذا وقد كان الدافع لهؤلاء الأعلام أنهم ساروا على نهج قول النبي ﷺ «ما حق امرئ مسلم له شيءٌ يريد أن يوصي فيه يبيت ليليتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»[(١)].

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٧٦١) والبخاري (٢٧٣٨) ومسلم (١٦٢٧) =

وقد كانت رسالة الحافظ ابن الجوزي لابنه محمد رسالة راسمة موضحة الطريق لمنهج أهل الحق فقد جمع ما رآه الحق في أعماله وأقواله مقتفياً أثر قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢]. فتقوى الله هو أساس الدين، والدافع لكيد الشيطان اللعين، فبالتقوى يعرف الإنسان الحق أن الله له مراقباً، إذ التقوى في صدره تحثه على إعمال العقل والتفكر في ملكوت الله، وبها يتعرف الإنسان ربه من خلال العقل الموهوب من رب العزة، أفتكون هذه المعرفة عن طريق الكسل والنوم الذي يورث الكلل، والذي بدوره الندم؟ لا. لأن النفس أخي طماعة، عودها القناعة، واجعلها خاضعة لك، لا تجعلها هي التي تسيطر على مكنوناتك الذاتية، فالإنسان مهما جاهدها فإنها تأبى الخضوع إليه، ولكن الجرعة الناجعة في ذلك هو إخماد الوساوس الشيطانية، لأن محرضها يدفعه إلى عدم الطاعة، فاعتزل بنفسك، وتذكر أنك آتٍ في النهاية إلى صندوق عملك الذي لا مهرب منه، عندها تنشط من عقال وتقول يا ليت، لكن الطريق أمامك الآن مفتوح، والوعد من الصادق مصدوق، فاجعل بينك وبين ربك خلوة تعرفه بها بتفكرك بمن خلقك وخلق الدنيا وأخضعَ لك ما فيها من محسوسات نباتاً وحيواناً، واحذر نفسك من رفاق السَّوء لأنهم أعوان الشيطان، المُحَرَّضِين من قبلِه لك لأن الشيطان إذا لم يستحكم بالوقوع بك، يُسخِّر لك أعوانه الندماء

= وأبو داود (٢٨٦٢) والترمذي (٩٧٤) والنسائي (٦/ ٢٣٨ و٢٣٩) عن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما.

للقضاء على من عسر عليه إيقاعه، لكن ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

فبهذا تجد أن رسالة الحافظ ابن الجوزي هذه هي مدرسة، تضع نفسك وكينونتك البشرية على بداية السلم، وتنبهك من الأخطار المحدقة بك، وتحثك على العمل بإعمال عقلك وفكرك، وتطبيق الجرعة بحذافيرها لكي تحصل على الثواب العميم، المبعد عن فكر المتربصين بالدين، القاحمين عليه ما ليس منه.

وهي رسالة إذا طالعها جيل شبابنا الحاضر وعملوا بها، وتركوا أهواءهم والمصالح الشخصية جانباً لأرجعنا مجدنا التليد، والله مظهر نوره، ومرجعٌ مجد خير أمة ولو كره الكافرون.

وقد كشف لنا المصنف في رسالته كثيراً من جوانب حياته، فآثرت أن لا أفرده بترجمة، لأنه كفانا مؤنة ترجمته بما فيه الخلاصة النافعة المفيدة ضمن ما نبه به ابنه ليحثه على الاقتداء بالمثل الصالح.

رحم الله مؤلفها، ومن ألفت له، رحمة عامة، وأدخله الجنان، وسقاه شربة من حوض النبي العدنان، إنه المنان، والحمد لله رب العالمين.

عملي في هذه الرسالة:

١ ـ ضبط النص ضبطاً كاملاً لكي يسهل على القارئ قراءته.

٢ ـ عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها.

٣ ـ عزو الأحاديث النبوية الشريفة إلى أماكنها.

٤ ـ ترجمة بعض رجال هذه الرسالة.

٥ ـ شرح الكلمات الغربية.

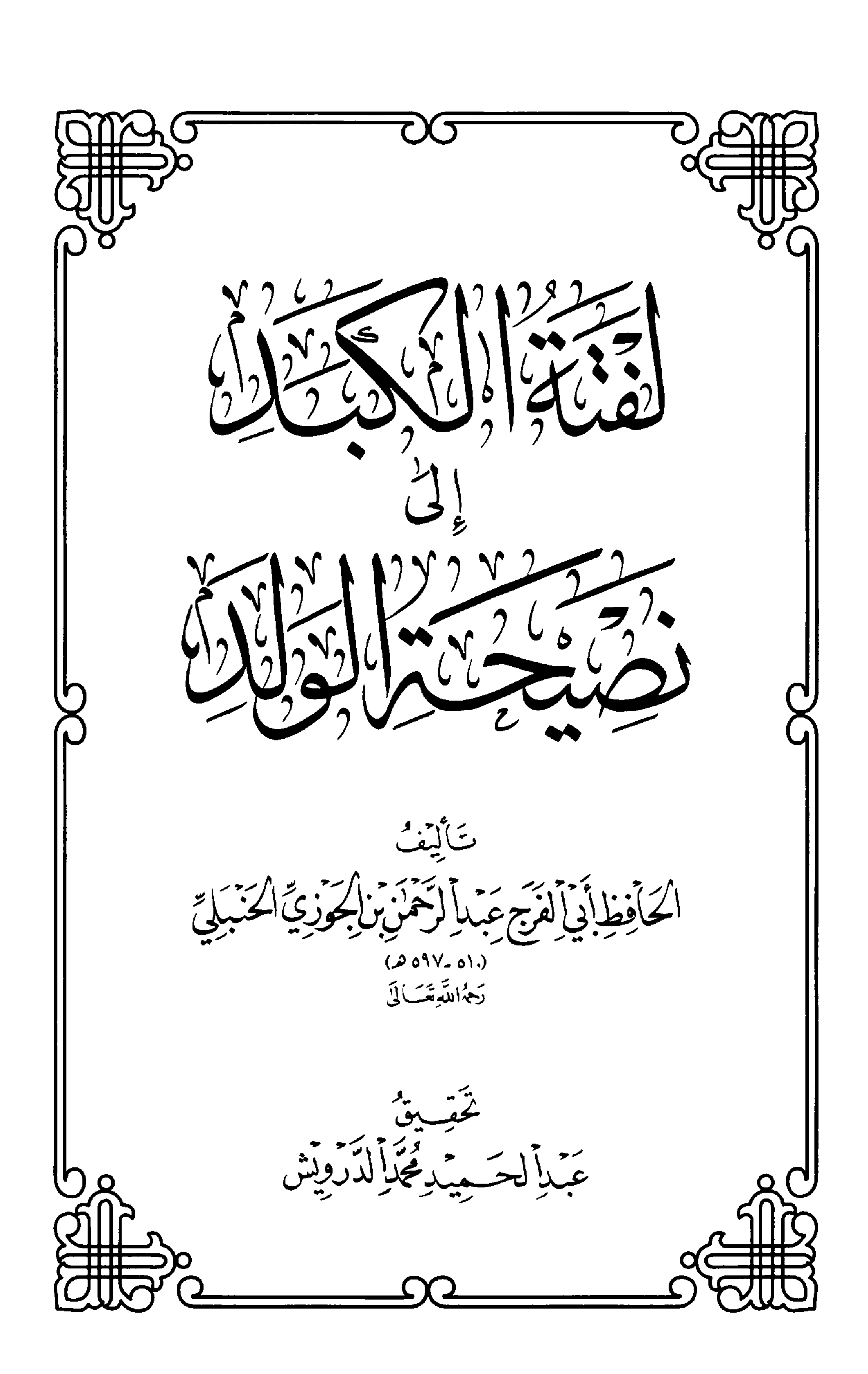
٦ ـ ترقيم فصول الرسالة ووضع عناوين لها بين [ ].

٧ ـ فهرست ذكر مصنفات المؤلف المذكورة في هذه الرسالة.

وقد استفدت من نسخة الشيخ محمد حامد الفقي جزاه الله خيراً التي طبعت ضمن مجموع دفائن الكنوز عام ١٣٤٩هـ.

عبد الحميد محمد الدرويش

❐❐❐



لفتة الكبد إلى نصيحة الولد

تأليف

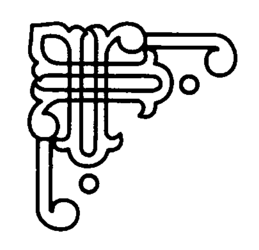
الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي

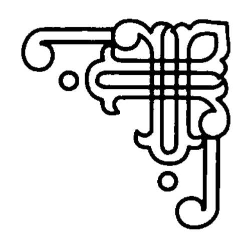
(٥١٠ - ٥٩٧ هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الحميد محمد الدرويش





وبه نستعين

[مقدمة المؤلف]

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْشَأَ الأَبَ الأَكْبَرَ مِنْ تُرَابٍ[1]، وَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنَ التَّرَائِبِ وَالأَصْلاَبِ[2]، وَعَضَدَ الْعَشَائِرَ بِالْقَرَابَةِ وَالأَنْسَابِ، وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِالْعِلْمِ وَعِرْفَانِ الصَّوَابِ، وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتِي فِي الصِّبَى، وَحَفِظَنِي فِي الشَّبَابِ، وَرَزَقَنِي ذُرِّيَّـةً أَرْجُـو بِوُجُودِهِمْ وُفُوْرَ الثَّوَابِ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾[إبراهيم: ٤٠ ـ ٤١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنِّي لَمَّا عَرَفْتُ شَرَفَ النِّكَاحِ وَطَلَبَ الأَوْلاَدِ خَتَمْتُ خَتْمَةً وَسَأَلْتُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنِي عَشْرَةَ أَوْلاَدٍ، فَرَزَقَنِيهِم، فَكَانُوا خَمْسَةَ ذُكُوْرٍ وَخَمْسَ

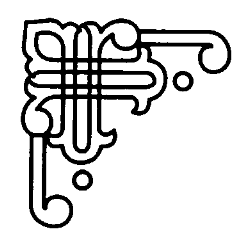
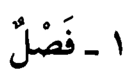
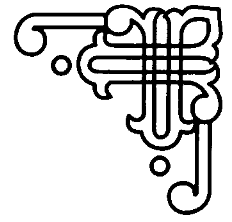
---

(١) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].

(٢) لقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[الطارق: ٧]. وقوله تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

إِنَاثٍ، فَمَاتَ مِنَ الإِنَاثِ اثْنَتَان، وَمِنَ الْذُّكُوْرِ أَرْبَعَةٌ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْذُكُوْرِ سِوَى وَلَدِي أَبِي الْقَاسِمِ فَسَأَلْتُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ فيهِ الْخَلَفَ الْصَّالِحَ، وأَنْ يُبَلِّغ بِهِ الْمُنَى وَالْمَنَاجِحَ، ثُمَّ رَأَيْتُ مِنْهُ نَوْعَ تَوَانٍ عَنِ الْجِدِّ في طَلَبِ الْعِلْمِ فكَتَبْتُ لَهُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ أَحَثُّهُ بِهَا، وَأُحَرِّكُهُ عَلَى سُلُوْكِ طَرِيْقِي في كَسْبِ الْعِلْمِ، وَأَدُلُّهُ عَلَى الالتِجَاءِ إِلَى الْمُوَفِّقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَعَ عِلْمِي بِأَنَّهُ لا خَاذِلَ لِمَنْ وَفَّقَ، وَلاَ مُرْشِدَ لِمَنْ أَضَلَّ، لَكِنْ قَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر: ٣] وَقَالَ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[الأعلى: ٩]. وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ.

❒ ❒ ❒

١ ـ فَصْلٌ

[استحضار العقل وإعمال الفكر]

اعْلَمْ يَا بُنَيَّ وَفَّقَكَ اللهُ لِلصَّوَابِ: أَنَّهُ لَمْ يَتَمَيَّزُ الآدَمِيُّ بِالْعَقْلِ(١)

---

(١) قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص١١ ـ ١٢): اعلم أن لكل فضيلة أساً، ولكل أدب ينبوعاً، وأسِ الفضائل وينبوع الآداب، هو العقل، الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً، وللدنيا عماداً، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف بين خلقه، مع اختلاف هممهم ومآربهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعلَ ما تعبدهم بـه قسمين: قسماً وجبَ بالعقل، فوكَّده الشرع؛ وقسماً جاز في العقل، فأوجبه الشرع، وكان العقل عليهما عياراً. وروي: «ما اكتسب المرءُ مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردًى». وروي: «لكل شيء دعامة، ودعامة عمل المرء عقله». فبقدر عقله تكون عبادته لربه، أما سمعتم قوله تعالى خبراً عن الفجار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك: ١٠]. وقال عمـر بن الخطاب ﷺ: أصل الرجل عقلهُ، وحسبه دينه، ومروءته خُلُقُه. وقال أبو الحسن البصري رحمه الله: ما استودع الله أحداً عقلاً، إلا استنفذه به يوماً ما. وقال بعض الحكماء: العقلُ أفضل مرجو، والجهل أنكى عدو. وقال بعضُ الأدباء: صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله. وقال بعض البلغاء: خير المواهب العقل، وشر المصائب الجهل.

إلاَّ لِيَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ، فَاسْتَحْضِرْ عَقْلَكَ، وَأَعْمِلْ فِكْرَكَ، وَاخْلُ بِنَفْسِكَ، تَعْلَمُ بِالدَّلِيْلِ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ مُكَلَّفٌ، وَأَنَّ عَلَيْكَ فَرَائِضَ أَنْتَ مُطَالَبٌ بِهَا[1]، وَأَنَّ المَلَكَيْنِ يُحْصِيَانِ أَلْفَاظَكَ وَنَظَرَاتِكَ[2]، وَأَنَّ أَنْفَاسَ الْحَيِّ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ، وَمِقْدَارُ اللَّبْثِ في الدُّنْيَا قَلِيْلٌ، وَالْحَبْسُ في الْقُبُوْرِ طَوِيْلٌ، وَالْعَذَابُ عَلَى مُوَافَقَةِ الْهَوى وَبِيْلٌ، فَأَيْنَ لَذَّةُ أَمْسِ؟ رَحلَتْ وَأَبْقَتْ نَدماً، وَأَيْن شَهْوَةُ النَّفْسِ؟ كَمْ نَكَّسَتْ رَأْساً، وَأَزَلَّتْ قَدَماً، وَمَا سَعِدَ مِنْ سَعِدَ إِلاَّ بِخِلاَفِ هَوَاهُ، وَلاَ شَقِيَ مَنْ شَقِيَ إِلاَّ بِإِيْثَارِ دُنْيَاهُ، فَاعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوْكِ وَالزُّهَّادِ، أَيْنَ لَذَّةُ هَؤُلاءِ، وَأَيْنَ تَعبُ أُوْلَئِكَ؟ بَقِيَ الثَّوَابُ الْجَزِيْلُ وَالذِّكْرُ الْجَمِيْلُ لِلصَّالِحِيْنَ، وَالْقَالَةُ الْقَبِيْحَةُ وَالْعِقَابُ الْوَبِيْلُ لِلْعَاصِيْنَ، وَكَأَنَّهُ مَا جَاعَ مِنْ جَاعَ وَلاَ شَبِعَ مَنْ شَبِع، وَالْكَسَلُ عَنِ الْفَضَائِلِ بِئْسَ الرَّفِيْقُ، وَحُبُّ الرَّاحةِ يُوْرِثُ النَّدَمِ[3] مَا يُرْبِي عَلَى كُلِّ لَذَّةٍ، فَانْتَبِهْ

---

(١) لقوله ﷺ: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها...». أخرجه الدارقطني في سننه (١٨٤ ـ ٤ / ١٨٣) والحاكم (٤/ ١١٥) عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر. وحسنه النووي في الأربعين النووية (٣٠).

(٢) لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[قٓ : ١٨].

(٣) قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص٥٥٩): واعلم أن للنفس حالتين: حالة استراحة إن حرمتها إياها كلت، وحالة تصرف إن أرحتها فيها تخلت. فالأولى بالإنسان تقدير حاليه: حال نومه ودعته، وحال تصرفه ويقظته؛ فإن لهما قدراً محدوداً، وزماناً مخصوصاً، يضر بالنفس مجاوزة=

وَاتْعَبْ لِنَفْسِكَ، وَاعلَمْ أَنَّ أَدَاءَ الْفَرَائِض وَاجْتِنَابَ الْمَحَارِمِ لاَزِمٌ، فَمَتَى تَعَدَّى الإِنْسَانُ فَالْنَّارَ الْنَّارَ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنْ طَلَبَ الْفَضَائِلِ نِهَايَةُ مُرَادِ الْمُجْتَهِدِيْنَ، ثُمَّ الْفَضَائِلُ تَتَفَاوَتُ، فَمِنَ الْنَّاسِ مَنْ يَرَى الْفَضَائِلُ: الْزُّهْدَ في الْدُّنْيَا[1]، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهَا الْتَّشَاغُلَ بِالْتَّعَبُّدِ، وَعَلى الْحَقِيْقَةِ فَلَيْسَتْ الْفَضَائِلُ الْكَامِلَةُ إِلاَّ الْجَمْعُ

= حدهما، وتغير زمانها. فق روي: «نومة الصبحة معجزة منفخة مكسلة مورمة، مفشلة منساة للحاجة». وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: النوم ثلاثة: خرق وهي الصبحة، ونومة خُلُق وهي القائلة، ونومة حمق وهي العشاء. وقد روي: «نوم الضحى خُرق، والقيلولة خُلُق، ونوم العشيّ حمق». وقيل في منثور الحكم: من لزم الرقاد، عدم المراد.

(١) أخرج البيهقي في الزهد (٧٣): عن محمد بن يعقوب بن الفرجي قال: اختلف الناس في الزهد فقال قوم: الزهد في الدنيا قصر الأمل وهو قول الثوري وأحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهم. وقال قوم: الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر وهو قول ابن المبارك وشقيق ويوسف بن أسباط. وقال قوم الزهد ترك الدنيا والدرهم وهو قول عبد الواحد بن زيد. وقال قوم: هو ترك ما منه بدّ من فضول الدنيا. وقال قوم: ترك جميع مل يشغل عن الله ﷻ وهو قول الداراني. وقال قوم: حسم علائق النفس.
وقال قوم: الزهد القيام بدلائل العلم وشواهد اليقين. وقال قوم: هو عزوف النفس عن الدنيا بل تكلف كما قال حارثة: وقال قوم: الزهد هو الشكر عند النعمة والصبر عند البلاء. وهو قول ابن عيينة. وقال قوم: من لا يغلب الحلال شكره والحرام صبره. وهو قول الزهري.

بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ[1]، فَإِذَا حَصَلاَ رَفَعَا صَاحِبَهمُا إِلَى تَحْقِيْقِ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ سُبْحَانهُ وَتَعَالَى، وَحَرَّكَاهُ إِلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، فَتِلْكَ الْغَايَةُ الْمَقْصُوْدَةُ، وَعَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ[2]، وَلَيْسَ كُلُّ مُرِيْدٍ مُراداً، وَلاَ كُلُّ طَالِبٍ وَاجِداً، وَلَكِنْ عَلَى العَبْدِ الاجْتِهَادُ[3]، وكُلٌّ

---

(١) فلتكن أخي هذه شيمتك ولا تكون كالذين قال الله عنهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[الجمعة: ٥]. قيل في منثور الحكم: لم ينتفع بعلمه، من ترك العمل به، وثمرة العمل أن يؤجر عليه. وقال بعض الصلحاء: العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل. وقال بعض الحكماء: خير العلم ما نفع، وخير القول ما ردع. وقال بعض الأدباء: ثمرة العلوم العمل بالمعلوم. وقال بعض البلغاء: من تمام العلم استعماله، ومن تمام العمل استقلاله، فمن استعمل علمه لم يخل من رشاد، ومن استقل عمله لم يقصر عن مراد. انظر أدب الدنيا والدين (ص١٢٢).

(٢) وهو صدر بيتٍ قاله المتنبي (ديوان المتنبي ص٣٨٥).

(٣) قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص١٤١) في استنباط العلماء: ثم جعل إلى العلماء بعد رسوله ﷺ، استنباط ما نبه على معانيه، وأشار إلى أصوله؛ ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد به، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة: ١١]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران: ٧].

وقال المصنف في صيد الخاطر (ص٣١٧) رقم (٢٧٥) الاجتهاد: قد يدعى =

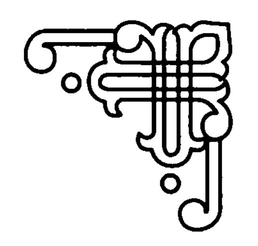
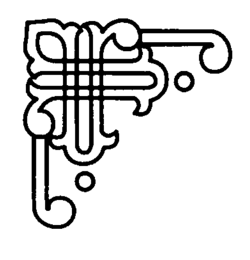
مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ[1]. وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

= أهل مذهب الاجتهاد في طلب الصواب وأكثرهم لا يقصد إلا الحق. فترى الراهب يتعبد ويتجوع، واليهودي يذل ويؤدي الجزية، وصاحب كل مذهب يبالغ فيه ويحتمل الضيم والأذى طلباً للهدى، وتحصيل الأجر، ومع هذا فيقطع بضلال الأكثرين. وهذا قد يشكل، وإنما كشفه أنه ينبغي أن يطلب الهدى بأسبابه، أو فقد بعض الآلات فلا يقال له مجتهد. فاليهود والنصارى بين عالم عرف صدق نبينا ﷺ ثم يمسك لرئاسته فهذا معاند، وبين مقلد لا ينظر فهذا مهمل، فهو يتعبد مع إهمال الأصل، وهذا لا ينفع. وبين ناظر منهم حق النظر، فيقول ـ في التوراة ـ: إن ديننا لا ينسخ، وهو على غير ثقة أن هذا غير معقول ولا مدخل فيها. ويقول بالنسخ ذاك لا ينظر في الفرق، فينبغي أن ينظر حق النظر.

ومن هذا الجنس تعبد الخوارج مع إقناعهم بعلمهم القاصر، وهو قولهم: ﴿لا حكم إلا لله﴾ ولم يفهموا أن التحكيم من حكم الله، فجعلوا قتال علي ﷺ وقتله مبنياً على ظنهم الفاسد. ولما نهب مسلم بن عقبة المدينة وقتل الخلق قال: إن دخلت النار بعد هذا إنني لشقي.

فظن بجهله أنهم لما خالفوا بيعة يزيد يجوز استباحتهم وقتلهم. فالويل لعامي قليل العلم لا يتهم نفسه في واقعة، ولا يذاكر من هو أعلم منه، بل يقطع بظنه ويقدم. وهذا أصل ينبغي تأمله، فقد هلك في إهماله خلق لا يحصى وقد رأينا خلقاً من العوام إذا وقع لهم واقعة لم يقبلوا فتوى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩) و(٦٢١٧) ومسلم (٢٦٤٧) والترمذي (٢١٣٦) وابن ماجة (٧٨) وابن حبان (٣٣٤ و٣٣٥) عن علي بن أبي طالب، أن النبي ﷺ كان في جنازة فأخذ عوداً، فجعل ينكت به في الأرض، فقال: =

٢ ـ فَصْلٌ

[أول ما ينبغي النظر فيه]

وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي النَّظَرُ فِيْهِ: مَعْرِفَةُ اللهِ تَعَالَى بالدَّلِيْلِ(١)، وَمَعْلُومٌ

= ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة. فقال رجل: ألا نتّكلُ؟ فقال: اعملوا فكلٌّ ميسرٌ. ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾.

وأخرجه أحمد (٣/ ٢٩٢ و٢٩٣) ومسلم (٢٦٤٨) والبغوي في شرح السنة (٧٤) وابن حبان في صحيحه (٣٣٧) عن جابر.

(١) قال المصنف في صيد الخاطر (ص٢٢٧ ـ ٢٢٨) رقم (١٨٠): من أكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه أن هذه النفس الناطقة الميزة المحركة للبدن على مقتضى إرادتها، والتي دبرت مصالحها، وترقت إلى معرفة الأفلاك، واكتسبت ما أمكن تحصيله من العلوم، وشاهد الصانع في المصنوع، فلم يحجبها ستر وإن تكاثف، لا يعرف مع هذا ماهيتها، ولا كيفيتها ولا جوهرها ولا محلها بأشغالها، ولا يفهم من أين جاءت، ولا يدري أين ذهب، ولا كيف تعلقت بهذا الجسد. وهذا كله يوجب عليها أن لها مدبراً وخالقاً، وكفى بذلك دليلاً عليه. إذ لو كنت وجدت بها لما خفيت أحوالها. فسبحانه سبحانه.

أَنَّ مَنْ رأَى السَّمَاءَ مَرْفُوْعَةً[1]، والأَرْضَ مَوْضُوْعَةً[2]، وَشَاهَدَ الأَبْنِيَةَ الْمُحْكَمَةَ خُصُوْصاً في جَسَدِ نَفْسِهِ، عَلِمَ أَنَّهُ لا بُدَّ للصَّنْعَةِ مِنْ صَانِعٍ، وَللمَبْنِي مِنْ بَانٍ[3].

---

(١) لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[الرعد: ٢]. وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾[الرحمن: ٧]. وقوله: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾[الطور: ٥]. وقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾[النازعات: ٢٨]. وقوله ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾[الغاشية: ١٨].

(٢) لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[الرحمن: ١٠].

(٣) قال المصنف في صيد الخاطر (ص٣١٦ ـ ٣١٧) رقم (٢٧٤) تحت عنوان: دلائل التوحيد: سبحان من ظهر لخلقه حتى لم يبق خفاء، ثم خفي حتى كأنه لا ظهور، أجلى من هذه المصنوعات التي تنطق كلها بأن صانعاً صنعني وربتني على قانون الحكمة، خصوصاً هذا الآدمي الذي أنشأه من قطره، وبناه على أعجب فطره، ورزقه الفهم والذهن واليقظة والعلم، وبسط له المهاد، وأجرى له الماء والريح، وأنبت له الزرع، ورفع له من فوقها السماء فأوقد له مصباح الشمس بالنهار، وجاء بالظلمة ليسكن، إلى غير ذاك، مما لا يخفي. وكله ينطق بصوت فصيح يدل على خالقه، وقد تجلى الخالق سبحانه بهذه الأفعال فلا خفاء.

ثم بعث الرسل فقراء من الدنيا، ضعاف الأبدان، فقهر بهم الجبابرة، وأظهر على أيديهم من المعجزات ما لا يدخل تحت مقدور بشر. وكل ذلك ينطق، وقد تجلى سبحانه بذلك.

ثم يأتي موسى عليه السلام إلى البحر فينفرق فلا يبق شك في أن الخالق فعل هذا. ويكلم عيسى علبه السلام الميت فيقوم. ويبعث طيراً ابابيل =

ثُمَّ يَتَأَمَّلُ دَلِيْلَ صِدْقِ الرَّسُوْلِ ﷺ إِلَيْهِ وَأَكْبرُ الدَّلائِلِ: الْقُرْآنُ الَّذِي أَعْجَزَ الْخلْقَ أَنْ يَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِنْ مِثْلِهِ[1]، فَإِذَا ثَبَتَ عِنْدَهُ وُجُوْدُ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلاَ، وَصِدْقَ الرَّسُوْلِ ﷺ، وَجَبَ تَسْلِيْمُ عَنَانِهِ إِلَى الشَّرْعِ، فَمَتَى لَمْ يَفْعَلْ دَلَّ عَلَى خَللٍ في اعْتِقَادِهِ[2].

ثُمَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الْوُضُوْءِ وَالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ.

فَإِذَا عَرَفَ قَدْرَ الْوَاجِبِ قَامَ بِهِ. فَيَنْبَغِي لِذِي الْهِمَّةِ أَنْ يَتَرَقَّى إِلَى الْفَضَائِلِ، فَيَتَشَاغَلُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيْرِهِ، وَبِحَدِيْثِ الرَّسُوْلِ الله ﷺ،

= تحفظ بيته فيهلك قاصديه. وهذا أمرٌ يطول ذكرهُ كله. يدل على أن تجلي الخالق سبحانه بغير خفاء. فإذا ثبت عند العقول ذلك من غير ارتياب ولا شك، جاءت أشياءٌ كأنها تستر الظاهر على ما سبق من تسليط الأعداء على الأولياء، وإذا ثبت التجلي بأدلة لا تحتمل التأويل، علمتَ أن لهذا الخفاء سراً لا نعلمه يفترض على العقل فيه التسليم للحكيم فمن سَلَّم سلمَ، ومن اعترض هلك.

(١) لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[البقرة: ٢٣]. ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[هود: ١٣].

(٢) فعند اختلال العقيدة تختل الموازين السامية التي فطر عليها الإنسان، مما يؤدي إلى اختلال الروح في الجسد، واختلال النفس الطيبة في الروح الطيبة، إلى نفسٍ شيطانية موسوسة، مما يجعل الإنسان قد خرج عن الجادة السليمة التي نشأ بها، وترعرع في بستان معرفتها، ودوحة إيمانها الغناء.

وَبِمَعْرِفَةِ سِيَرِهِ وَسِيَرِ أَصْحَابِـهِ وَالعُلَمَاءِ بَعْدَهُمْ. لِيَتَخَيَّرَ مَرْتَبَةَ الأَعْلَى فَالأَعْلَى. وَلاَ بُدَّ مِنْ مَعْرِفَـةِ مَا يُقِيْمُ بِهِ لِسَانَهُ مِنَ النَّحْوِ وَمَعْرِفَةِ طَرَفٍ مُسْتَعْمَلٍ مِنَ اللُّغَةِ.

وَالْفِقْــهُ أَصْــلُ الْعـُلُوْمِ[1]، وَالتَّــذْكِيْرُ حَـلْوَاؤُهَــا وَأَعَمُّهَــا نَفْعاً[2]، وَقَدْ رَتَّبْتُ فِي هَذِهِ الْمَذْكُوْرَاتِ مِنَ التَّصَانِيْـفِ مَا يُغْنِي عَنْ

---

(١) قال المصنف في صيد الخاطر (ص١٥٥) رقم (١١٠) الفقه أفضل العلوم: أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته، ومن تأمل ثمرة الفقه علم أنه أفضل العلوم، فإن أرباب المذاهب فاقوا بالفقه الخلائق أبداً، وإن كان في زمن أحدهم من هو أعلم منه بالقرآن أو بالحديث أو اللغة.

واعتبر هذا بأهل زماننا، فإنك ترى الشباب يعرف مسائل الخلاف الظاهرة فيستغني، ويعرف من حكم الله في الحوادث ما لا يعرفه النحرير من باقي العلماء، وكم رأينا مبرزاً في علم القرآن أو في الحديث أو في التفسير أو في اللغة لا يعرف مع الشيخوخـة معظم أحكام الشرع، وربما جهل علم ما ينويه في صلاته.

على أنه ينبغي للفقيه ألا يكون أجنبياً عن باقي العلوم، فإنه لا يكون فقيهاً، بل يأخذ من كل علم بحظ، ثم يتوفر على الفقه فإنه عز الدنيا والآخرة.

(٢) ونذكر هنا قولاً بليغاً للشيخ الأنصاري قال: سمعت يحيى بن عمار يقول: العلوم خمسة: علم هو حياة الدين، وهو علم التوحيد، وعلم هو قوت الدين وهو علم **العظة والذكر**، وعلم هو دواء الدين، وهو **الفقه**، وعلم هو داء الدين، وهو **أخبار فتن السلف**، وعلم هو هلاك الدين، وهو علم **الكلام**. انظره في تاريخ الإسلام (ص٩٩) والاعتقاد والهداية إلى سبيل =

كُـلِّ مَا سَبَقَ مِنَ تَصَانِيْفِ الْقُدَمَاءِ[1] وَغَيرِهَا بِحَمْدِ اللهِ وَمَنِّهِ.

= الرشاد على مذهـب السلف أهـل السنـة والجماعـة للبيهقي (ص١٢٦) بتحقيق شيخنا.

(١) إن المصنف بعبارتـه هذه لا يجحد فضل السابق لأنـه قد اغترف من معين بحرهم من العلم، وكيف لا وهو الذي قد أفرد لهم في مصنفه صيد الخاطر (ص٣٧٥ ـ ٣٧٦) رقم (٣٣٧) فصلاً كاملاً تحت عنوان: القدماء أصحاب همم علية لكثرة مصنفاتهم. فقال: كانت همم القدماء من العلماء علية تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم إلا أن أكثر تصانيفهم دثرت، لأن همم الطلاب ضعفت فصاروا يطلبون المختصرات، ولا ينشطون للمطولات. ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها، فدثرت الكتب ولم تنسخ. فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتـب التي قـد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة فإنـه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتابٌ من فائدة. وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم. لا نرى فيهم ذا همة عالية فيقتدي بها المبتدي. ولا صاحب ورعٍ فيستفيد منه الزاهد.

فالله الله عليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعـة تصانيفهم وأخبـارهم. فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم كما قال:

فـاتني أن أرى الـديار بطرفـي فلعلـي أرى الـديار بـسمعي

وإنني أخبر عن حالي، ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أرهُ فكأني وقعت على كنز. ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد. وفي ثبت كتب أبي حنيفة =

فَأَغْنَيْتُكَ عَنْ تَطَلُّبِ الْكُتُبِ وَجَمْعِ الْهِمَمِ لِلتَّصْنِيْفِ، وَمَا تَقِفُ هِمَّةٌ إِلاَّ لِخَسَاسَتِهَا، وَإِلاَّ فَمَتَى عَلَتِ الْهِمَّةُ[1] فَلاَ تَقْنَعْ بِالْدُّوْنِ.

= وكتب الحميدي وكتب شيخنا عبد الوهاب وابن ناصر وكتب أبي محمد بن الخشاب وكانت أحمالاً وغير ذلك من كل كتابٍ أقدر عليه. ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر وأنا بعدُ في الطلب. فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم، وحفظهم وعباداتهم وغرائب علومهم، ما لا يعرفه من لم يطالع، فصررت أستزري ما الناس فيه. وأحتقر همم الطلاب. ولله الحمد.

(١) قال المصنف في صيد الخاطر (ص٤٦) رقم (٧): من علامة كمال العقل، علو الهمة والراضي بالدون دني:

ولم أر في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام

وقال (ص٢١٥ ـ ٢١٧) رقم (١٦٩) علو الهمة بلاء: ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته. فإن من علت همته يختار المعالي، وقد لا يساعد الزمان، وقد تضعف الآلة، فيبقى في عذاب. وإني أعطيت من علو الهمة طرفاً فأنا به في عذاب، ولا أقول: ليته لم يكن؛ فإنه يحلو العيش بقدر عدم العقل، والعاقل لا يختار اللذة بنقصان العقل. ولقد رأيت أقواماً يصفون علو هممهم، فتأملتها فإذا بها في فن واحد، ولا يبالون بالنقص فيما هو أهم، قال الرضي:

ولكل جسم في النحول بلية ... وبلاء جسمي من تفاوت همتي

فنظرت فإذا غاية أمله الإمارة، وكان أبو مسلم الخراساني في حال شبيبته لا يكاد ينام، فقيل له في ذلك فقال: ذهن صاف، وهم بعيد، ونفس تتوق =

= إلى معالي الأمور، مع عيش كعيش الهمج الرعاع. قيل: فما الذي يبرد غليلك؟ قال: الظفر بالملك. قيل: فاطلبه. قال: لا يطلب إلا بالأهوال. قيل: فاركب الأهوال. قال: العقل مانع. قيل: فما تصنع؟ قال: سأجعل من عقلي جهلاً، وأحاول به خطراً لا ينال إلا بالجهل، وأدبر بالعقل ما لا يحفظ إلا به، فإن الخمول أخو العدم. فنظرت إلى حال هذا المسكين فإذا به قد ضيع أهم المهمات وهو جانب الآخرة، وانتصب في طلب الولايات. فكم فتك وقتل حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا، ثم لم يتنعم في ذلك أكثر من ثمان سنين، ثم اغتيل، ونسي تدبير العقل فقتل، ومضى إلى الآخرة على أقبح حال. وكان المتنبي يقول:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه	ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلباً بين جنبي ماله	مدى ينتهي بي في مراد أحده
ترى جسمه يكسى شفوفاً تربه	فيختار أن يكسى دروعاً تهده

فتأملت هذا الآخر فإذا همته فيما يتعلق بالدنيا فحسب. ونظرت إلى علو همتي فرأيتها عجباً. وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أنني لا أصل إليه، لأنني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فرد، وهذا أمر يعجز العمر عن بعضه، فإن عرض لي همة في فن قد بلغ منتهاه رأيته ناقصاً في غيره، فلا أعد همه تامة. مثل المحدث فاته الفقه، والفقيه فاته علم الحديث، فلا أرى الرضى بنقصان العلوم إلا حادثاً عن نقص الهمة.

ثم إني أروم نهاية العمل بالعلم، فأتوق إلى ورع بشر، وزهادة معروف، وهذا مع مطالعة التصانيف، وإفادة الخلق ومعاشرتهم بعيد.

ثم إني أروم الغنى عن الخلق، وأستشرف الإفضال عليهم. ولاشتغال بالعلم مانع من الكسب. وقبول المنن مما تأباه الهمة العالية. =

وَقَدْ عَرَفْتُ بِالْدَّلِيْلِ أَنَّ الْهِمَّةَ مَوْلُوْدَةٌ مَعَ الآدمِيِّ، وَإِنَّمَا تَقْصُرُ بَعْضُ الْهِمَمِ في بَعْضِ الأَوْقَاتِ، فَإِذَا حُثَّتْ سَارَتْ. وَمَتَى رَأَيْتَ في

= ثم إني أتوق إلى طلب الأولاد، كما أتوق إلى تحقيق التصانيف، لبقاء الخلَفين نائبين عني بعد التلف، وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب المحب للتفرد.

ثم إني أروم الاستمتاع بالمستحسنات، وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال ثم لو حصل فرق جمع الهمة.

وكذلك أطلب لبدني ما يصلحه من المطاعم والمشارب، فإنه متعود للترفه والتلطف، وفي قلة المال مانع.

وكل ذلك جمع بين أضداد. فأين أنا وما وصفته من حال من كانت غاية همته الدنيا؟

وأنا لا أحب أن يخدش حصول شيء من الدنيا وجه ديني بسبب. ولا أن يؤثر في علمي ولا في عملي. فوا قلقي من طلب قيام الليل، وتحقيق الورع، مع إعادة العلم، وشغل القلب بالتصانيف، وتحصيل ما يلائم البدن من المطاعم. ووا أسفي على ما يفوتني من المناجاة في الخلوة مع ملاقاة الناس وتعليمهم.

ويا كدر الورع مع طلب لا بد منه للعائلة.

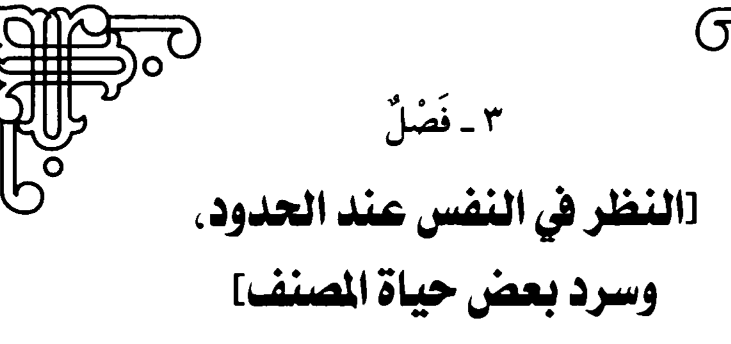
غير أني قد استسلمت لتعذيبي، ولعل تهذيبي في تعذيبي، لأن عليان الهمة تطلب المعالي المقربة إلى الحق ﷻ. وربما كانت الخيرة في الطلب دليلاً إلى المقصود.

وها أنا أحفظ أنفاسي من أن يضيع منها نفسٌ في غير فائدة، وإن بلغ همي مراده، وإلا فنية المؤمن أبلغ من عمله.

نَفْسكَ عَجْزاً فَسَلِ الْمُنْعِمَ، أَوْ كَسَلاً فَالْجَأ إِلَى الْمُوَفِّقِ، فَلَنْ تَنَالَ خَيْراً إلاَّ بِطَاعَتَهِ، وَلاَ يَفُوْتُكَ خَيْرٌ إلاَّ بِمَعْصِيَتِهِ، فَمِنَ الَّذِي أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَر كُلَّ مُرَاد؟ وَمِنَ الَّذِي أَعْرَضَ عَنْهُ فَمَضَى بِفَائِدَةٍ؟ أَوْ حَظِيَ بِغَرَضٍ مِنَ أَغْرَاضِهِ؟ أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

وَاللهِ مَا جِئْتُكمْ زَائِراً	إلاَّ وَجَدْتُ الأَرْضَ تُطْوَى لِي
وَلاَ ثَنَيْتُ الْعَزْمَ عَنْ بَابِكُمْ	إلاَّ تَعَثَّرتُ بِأَذْيَالِي

❑ ❑ ❑



٣ ـ فَصْلٌ

[النظر في النفس عند الحدود، وسرد بعض حياة المصنف]

وَانْظُرْ يَا بُنَيَّ إِلَى نَفْسِكَ عِنْدَ الْحُدُوْدِ، فَتَلَمَّحْ كَيْفَ حِفْظُكَ لَهَا؟ فَإِنهُ مَنْ راعَى رُوْعِيَ، وَمَنْ أَهْملَ تُرِكَ. وإِنِّي لأَذْكُرُ لكَ بَعْضَ أَحْوَالِي لَعَلَّكَ تنْظُرُ إِلَى اجْتِهَادِي وَتَسْأَلَ الْمُوَفِّقَ لِي، فَإِنَّ أَكثَرَ الإِنْعَام عَلَيَّ لَمْ يَكُنْ بِكَسْبِي، وَإِنَّمَا هوَ مِنْ تَدْبِيْرِ اللَّطِيْفِ بِي، فَإِنِّي أَذْكرُ نَفْسِي وَلِي هِمَّةٌ عَالِيَةٌ وَأَنا في الْمَكْتَبِ ابنُ سِتِّ سِنِيْنَ وَأَنَا قَرِيْنُ الصِّبْيَانِ الْكِبَارِ، قَدْ رُزِقْتُ عَقْلاً وَافِراً في الصِّغَرِ يَزِيْدُ عَلَى عَقْلِ الشُّيُوْخِ، فَمَا أَذْكُرُ أَنِّي لَعِبْتُ في طَرِيْقٍ مَعَ الصِّبْيَانِ قَطُّ، وَلاَ ضَحِكْتُ ضحِكاً خَارِجاً، حَتَّى إِنِّي كُنْتُ وَلِي سَبْعُ سِنِيْنَ أَوْ نَحْوَهَا أَحْضُرُ رَحْبَةَ الجَامِعِ، فَلاَ أَتَخَيَّرُ حَلَقَةَ مُشَعْبِذٍ[1]، بَلْ أَطْلُبُ الْمُحَدِّثَ، فَيَتَحَدَّثُ بِالْسِّيَرِ فَأَحْفَظُ جَمِيْعَ مَا أَسْمَعُهُ، وَأَذْهَبُ إِلَى الْبَيْتِ فَأَكْتُبُهُ.

وَلَقَدْ وُفِّقَ لِي شَيْخُنَا أَبُوْ الْفَضْلِ ابْنُ نَاصِرٍ[2] رَحِمَهُ اللهُ، وَكَانَ

---

(١) المشعبذ: المُشعوذ. والشعوذة: خفة في اليد، وأخذٌ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه في رأي العين.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٦٥ ـ ٢٧١): الإمام المحدث =

يَحْمِلُنِي إِلَى الشُّيُوْخِ فَأَسْمَعَنِي الْمُسْنَدَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْكِبَارِ، وَأَنَا لا أَعْلَمُ مَا يُرَادُ مِنِّي، وَضَبَطَ لِي مَسْمُوْعَاتِي إِلَى أَنْ بَلَغْتُ، فَنَاوَلَنِي ثَبْتَهَا[1] وَلاَزَمْتُهُ إِلَى أَنْ تُوُفِّي رَحِمَهُ الله، فَنِلْتُ بِهِ مَعْرِفَةَ الْحَدِيْثِ وَالنَّقْلِ.

وَلَقَدْ كَانَ الصِّبْيَانُ يَنْزِلُونَ إِلَى دِجْلَةَ وَيَتَفَرَّجُوْنَ عَلَى الْجِسْرِ وَأَنَا فِي زَمَنِ الصِّغَرِ آخُذُ جُزْءاً وَأَقْعُدُ حُجْزَةً مِنَ النَّاسِ إِلَى جَانِبِ (الرِّفْقَةِ)[2] فَأَتَشَاغَلُ بِالْعِلْمِ.

ثُمَّ أُلْهِمْتُ الزُّهْدَ فَسَرَدْتُ الصَّوْمَ[3]، وَتَشَاغَلْتُ بِالتَّقَلُّلِ مِنَ

= الحافظ، مفيد العراق، أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي البغدادي.

مولده في سنة سبع وستين وأربع مئةٍ. وربي يتيماً في كفالة جده لأمه الفقيه أبي حكيم الخُبْرِي. توفي أبوه المحدث ناصر شاباً، فلقنه جده أبو حكيم القرآن... وقرأ ما لا يوصف كثرةً، وحصل الأصول، وجمع وألف، وبعد صيته، ولم يبرع في الرجال والعلل. وكان فصيحاً مليح القراءة، قوي العربية، بارعاً في اللغة، جم الفضائل. روى عنه الكثير. قال الشيخ جمال الدين ابن الجوزي [في المنتظم ١٠/ ١٦٣]: كان شيخنا ثقة حافظاً ضابطاً من أهل السنة، لا مغمز فيه، تولى تسميعي، سمعت بقراءته مسند أحمد والكتبَ الكبار، وعنه أخذت علم الحديث، وكان كثير الذكر، سريع الدمعة. وقال: توفي ابن ناصر في ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمس مئة.

(١) أي: الجزء الذي فيه مسموعاته.

(٢) في الأصل: الرقة.

(٣) أي: أكثرت من صيام المندوب ويوم الإثنين والخميس...

الطَّعَامِ، وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فَاسْتَمَرَّتْ، وَشَمَّرتُ وَلاَزَمْتُ وَعَالَجْتُ السَّهَرَ، وَلَمْ أَقْنَعْ بِفَنٍّ مِنَ الْعُلُوْمِ، بَلْ كُنْتُ أَسْمَعُ الفِقْهَ وَالْوَعْظَ وَالْحَدِيْثَ وَأَتْبَعُ الزُّهَّادَ، ثُمَّ قَرَأْتُ اللُّغَةَ وَلَمْ أَتْرُكْ أَحَداً مِمَّنْ يَرْوِي وَيَعِظُ، وَلاَ غَرِيباً يَقْدُمُ إِلاَّ وَأَحْضُرُهُ، وَأَتَخَيَّرُ الْفَضَائِلَ، وَكُنْتُ إِذَا عَرَضَ لِي أَمْرَانِ أُقَدِّمُ في أَغْلَبِ الأَحْوَالِ حَقَّ الْحَقِّ.

فَأَحْسَنَ[1] تَدْبِيْرِي وتَرْبِيَتِي، وَأَجْرَانِي عَلَى مَا هُوَ الأَصْلَحُ لِي، وَدَفَعَ عَنِّي الأَعْدَاءَ وَالْحُسَّادَ وَمَنْ يَكِيْدُنِي، وَهَيَّأَ لِي أَسْبَابَ الْعِلمِ، وَبَعَثَ إِلَيَّ الْكُتُبَ مِنْ حَيْثُ لاَ أَحْتَسِبُ. وَرَزَقَنِي الْفَهْمَ وَسُرْعَةَ الْحِفْظِ وَالْخَطِّ وَجُوْدَةَ التَّصْنِيْفِ، وَلَمْ يُعْوِزْنِي شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، بَلْ سَاقَ إِلَيَّ مِنَ الرِّزْقِ مِقْدَارَ الْكِفَايَةِ وَأَزْيَدُ، وَوَضَعَ لِي مِنَ الْقَبُوْلِ في قُلُوْبِ الْخَلْقِ فَوْقَ الْحَدِّ، وَأَوْقَعَ كَلاَمِي في نُفُوْسِهِمْ فَلاَ يَرْتَابُوْنَ بِصِحَّتِهِ، وَقَدْ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيَّ نَحْوَ مِئَتَيْنِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ[2].

وَلَقَدْ تَابَ في مَجَالِسِي أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ، وَقَدْ قَطَعْتُ أَكْثَرَ مِنْ

---

(١) أي: الله ﷻ.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٠): قال سبطه أبو المظفر [مرآة الزمان: ٨/ ٤٨٢]: سمعت جدي على المنبر يقول: بأصبعي هاتين كتبت ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألفاً، وكان يختم في الأسبوع، ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس.

عِشْرِيْنَ أَلْفَ سَالِفٍ[1] مِمَّا يَتَعَانَاهُ الْجُهَّالُ[2].

وَلَقَدْ كُنْتُ أَدُوْرُ عَلَى الْمَشَايِخِ لِسَمَاعِ الْحَدِيثِ، فَيَنْقَطِعُ نَفَسِي مِنَ الْعَدْوِ لِئَلاَّ أُسْبَق، وكُنْتُ أُصْبِحُ وَلَيْسَ لِي مَأْكَلٌ، وَأُمْسِي وَلَيْسَ لِي مَأْكَلٌ، مَا أَذَلَّنِي اللهُ لِمَخْلُوْقٍ قَطّ. وَلَكِنَّهُ سَاقَ رِزْقِي لِصِيَانَةِ عِرْضِي، وَلَوْ شَرَحْتُ أَحْوَالِي لَطَالَ الشَّرْحُ.

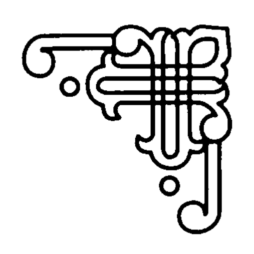
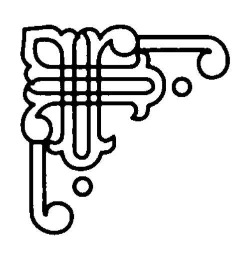
وَهَا أَنَا قَدْ تَرَى مَا آلَتْ حَالِي إِلَيْهِ، وَأَنَا أَجْمَعُهُ لَكَ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢].

❒ ❒ ❒

---

(١) هو ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة.

(٢) قال الشيخ علي الطنطاوي في مقدمة صيد الخاطر (ص١٦): أي كما يصنع المخنثون اليوم من ترجيل الشعر وتجعيده وتلميعه وتعطيره، وحمل المشط والتشبه في ذلك بالنساء.

٤ ـ فَصْلٌ

[أهمية قيمة الوقت]

فَانْتَبِـهِ ـ يَا بُنَيَّ ـ لِنَفْسِكَ وَانْدَمْ عَلَى مَا مَضَى مِنْ تَفْرِيْطِكَ وَاجْتَهِدْ فِي لَحَاقِ الْكَامِلِيْنَ مَا دَامَ فِي الْوَقْتِ سَعَةٌ. وَاسْقُ غُصْنَكَ، مَا دَامَتْ فِيهِ رُطُوْبَةٌ، وَاذْكُرْ سَاعَتَكَ الَّتِي ضَاعَتْ فَكَفَى بِهَا عِظَةً، ذَهَبَتْ لَذَّةُ الْكَسَلِ فِيْهَا وَفَاتَتْ مَرَاتِبُ الْفَضَائِلِ، وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ رَحِمَهُمُ اللهُ يُحِبُّوْنَ جَمْعَ كُلِّ فَضِـيْلَةٍ، وَيَبْكُوْنَ عَلَى فَوَاتِ وَاحِدَةٍ مِنْهَا.

قَالَ إِبْرَاهِيْمُ بْنُ أَدْهَمَ رَحِمَـهُ اللهُ: دَخَلْنَـا عَلَى عَابِـدٍ مَرِيْضٍ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى رِجْلَيْهِ وَيَبْكِي، فَقُلْنَا: مَالَكَ تَبْكِي؟ فَقَالَ: مَا اغْبَرَّتَا فِي سَبِـيْلِ اللهِ. وَبَكَى آخَرُ، فَقَالُوا: مَا يُبْكِيْـكَ؟ فَقَالَ: عَلَى يَوْمٍ مَضَى مَا صُمْتُهُ، وَعَلَيَّ لَيْلَةٌ ذَهَبَتْ مَا قُمْتُهَا.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ: أَنَّ الأَيَّامَ تُبْسِطُ سَاعَاتٍ، وَالسَّاعَاتُ تُبْسِطُ أَنْفَاساً، وَكُلَّ نَفْسٍ خِزَانَةٌ، فَاحْذَرْ أَنْ يَذْهَبَ نَفَسٌ بِغَيْرِ شَيْءٍ، فَتَرَى فِي الْقِيَامَةِ خِزَانَةً فَارِغَةً فَتَنْدَمُ، وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ لِعَامِرِ بن عَبْدِ قَيْسٍ: قِفْ أُكَلِّمْكَ؟ فَقَالَ: أَمْسِكِ الشَّمْسَ.

وَقَعَدَ قَوْمٌ عِنْدَ مَعْرُوْفٍ رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ: أَمَا تُرِيْدُوْنَ أَنْ تَقُوْمُوا،

فَإِنَّ مَلِكَ الشَّمْسِ يَجُرُّهَا لا يَفْتُرُ[1]؟.

وفي الْحَدِيْثِ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيْمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ بِهَا نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»[2].

فَانْظُرْ إِلَى مُضَيِّعِ الْسَّاعَاتِ كَمْ يَفُوْتُهُ مِنَ الْنَّخِيْلِ.

وَقَدْ كانَ الْسَّلَفُ يَغْتَنِمُوْنَ اللَّحظَاتِ، فَكَانَ كَهْمَسُ رَحِمَهُ اللهُ يَخْتِمُ الْقُرْآنَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَكَانَ أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً مِنَ الْسَّلَفِ يُصَلُّوْنَ الْصُّبْحَ بِوُضُوْءِ الْعِشَاءِ، وَكَانَتْ رَابِعَةُ الْعَدَوِيَّةُ تُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ هَجَعَتْ هَجْعَةً خَفِيْفَةً ثُمَّ قَامَتْ فَزِعَةً وَقَالَتْ لِنَفْسِهَا: الْنَّوْمُ فِي الْقَبْرِ طَوِيْلٌ[3].

---

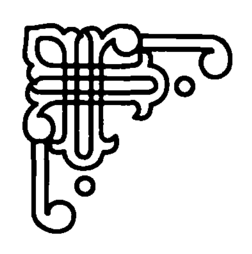
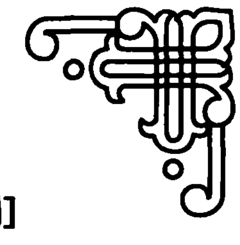
(١) أخرجه المصنف في صفوة الصفوة (١/ ٥٢٧) بلفظ: وعن القاسم بن نصر قال: جاء قوم إلى معروف فأطالوا عنده الجلوس. فقال: أما تريدون أن تقوموا وملك الشمس ليس يفتر عن سوقه؟.

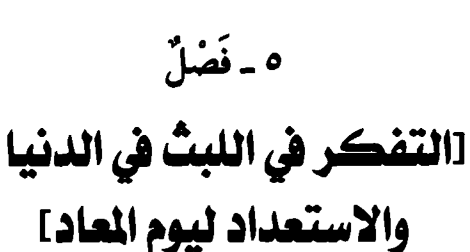
(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٦٠ و٣٤٦١) والنسائي في عمل اليوم اليوم والليلة رقم (٨٢٧) وابن حبان (٨٢٦ و٨٢٧) والحاكم (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢) عن جابر.

وله شاهد موقوف عن عبدالله بن عمرو عند ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٩٦ و٣٠٠) وفيه انقطاع.

وله شاهد مرفوع عن معاذ بن سهل عند أحمد (٣/ ٤٤٠) وسنده ضعيف.

(٣) أخرجه المصنف في صفوة الصفوة (٢/ ٢٥١) عن عبيس بن مرحوم العطار قال: حدثني عبدة بنت أبي شوال، وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم رابعة. قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت في =



٥ ـ فَصْلٌ

[التفكر في اللبث في الدنيا والاستعداد ليوم المعاد]

وَمنْ تفَكَّرَ في الْدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُوْجَدَ رَأَى مُدَّةً طَوِيْلَةً، فَإِذَا تفَكَّرَ فِيْهَا بَعْدَ أَن يَخْرُجَ مِنْهَا رَأَى مُدَّةً طَوِيْلَةً، وَعَلِمَ أَنَّ اللُّبْثَ في الْقُبُوْرِ طَوِيْلٌ، فَإِذَا تَفَكَّرَ في يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَلِمَ أَنَّـهُ خَمْسُوْنَ أَلْفَ سَنَةٍ[١]، فَإِذَا تفَكَّرَ في اللُّبْثِ في الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلِمَ أَنَّهُ لاَ نِهَايَةَ لَهُ، فَإِذَا عَادَ إِلَى النَّظَرِ في مِقْدَارِ بَقَائِهِ في الْدُّنْيَا، فَرَضْنَا سِتِّيْنَ سَنَةً مَثَلاً فَإِنَّهُ يَمْضِـي مِنْهَا ثَلاَثُوْنَ سنةً في النَّوْمِ، وَنَحْوٌ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ في الْصِّبَى[٢]، فَإِذَا حَسَبَ الْبَاقِي كَانَ أَكْثَرُهُ في الْشَّهَوَاتِ والْمَطَاعِمِ وَالْمَكَاسِبِ، فَإِذَا خَلَصَ مَا لِلآخِرَةِ

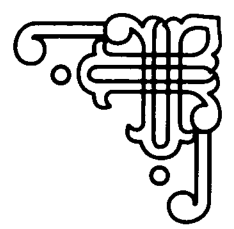
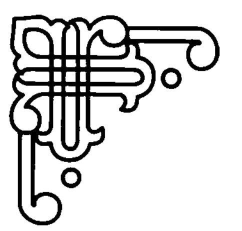
= مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: يا نفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور.

(١) لقولـه تعـالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[المعارج: ٤].

(٢) قال الإمام الغزالي في بداية الهداية (ص٩١): واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات، فيكفيك إن عشت مثلاً ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة، وهو ثلث عمرك.

فِي الْشَّهَوَاتِ والْمَطَاعِمِ وَالْمَكَاسِبِ، فَإِذَا خَلَصَ مَا لِلآخِرَةِ وَجَدَ فِيْهِ مِنَ الْرِّيَاءِ وَالْغَفْلَةِ كَثِيْراً، فَبِـمَاذَا تَشْتَرِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟! وَإِنَّما الثمن هذه الساعات.

❑ ❑ ❑

٦ ـ فَصْلٌ

[استدراك ما مضى بالعلم مع ذكر بعض أوراد اليوم والليلة]

ولا يُؤْيِسُكَ يَا بُنَيَّ مِنَ الْخيْرِ مَا مَضَى مِنَ التَّفْرِيْطِ، فَإِنَّهُ قَدِ انْتَبَهَ خَلْقٌ كَثِيْرٌ بَعْدَ الرُّقَادِ الطَّوِيْلِ. فَقَدْ حَدَّثَنِي الشَّيْخُ أَبُوْ حَكِيْمٍ، عَنْ قَاضِي الْقُضَاةِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الدَّامغَانِي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كُنْتُ في صَبْوَتِي مُتَشَاغِلاً بِالْبَطَالَـةِ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى الْعِلْمِ، فَأَحْضَرَنِي أبِي أَبُوْ عَبْدِاللهِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، لَسْتُ أَبْقَى لَكَ أَبداً، فَخُـذْ عِشْرِيْنَ دِيْنَاراً وَافْتَحْ لَكَ دُكَّانَ خَبَّازٍ وَتَكَسَّبْ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الْكَلاَمُ؟! قَالَ: فَافْتَحْ دُكَّانَ بَزَّازٍ. فَقُلْتُ: كَيْفَ تَقُوْلُ لِي هَذَا وَأَنَا ابْنُ قَاضِي الْقُضَاةِ [أبي] عَبْدِاللهِ الدَّامغَاني؟ قَالَ: فَمَا أَرَاكَ تَطْلُبُ الْعِلْمِ، فَقُلْتُ: اذْكُرْ لِي الدَّرْسَ السَّاعَةِ، فذَكَرَ لِي، فَأَقْبَلْتُ عَلَى التَّشَاغُلِ بِالْعِلمَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَقْبَلْتُ عَلَى الاشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ، وَاجْتَهَدْتُ فَفَتَحَ اللهُ تَعَالَى.

وَحَكَى لِي بَعْضُ أَصْحَابِ أَبِي مُحَمَّدَ الْحَلْوَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: مَاتَ أَبِي وَأَنَا ابْنُ إِحْدَى وَعِشْرِيْنَ سَنَةً، وَكُنْتُ مَوْصُوْفاً بِالْبَطَالَةِ فَأَتَيْتُ أَتَقَاضَى بَعْضَ سُكَّانِ دَارٍ قَدْ وَرِثْتُهَا فَسَمِعْتُهُمْ يَقُوْلُوْنَ: جَاءَ الْمُدْبِرُ ـ أَي الرَّبِيْطُ ـ. فَقُلْتُ لِنَفْسِي: يُقَالُ عَنِّي هَذَا؟ فَجِئْتُ إِلَى وَالِدَتِي فَقُلْتُ: إِذَا

أَرَدْتِ طَلَبِـي فَاطْلُبِيْنِي مِنْ مَسْجِدِ الشَّيْخِ أَبِي الْخَطَّابِ[1]. وَلاَزَمْتُهُ فَمَا خَرَجْتُ إِلاَّ إِلَى الْقَضَاءِ، فَصُرْتُ قَاضِـياً مُدَّةً.

قُلْتُ: وَرَأَيْتُهُ أَنَا وَهُوَ يُفْتِي وَيُنَاظِرُ.

فَأَلْزِمَ نَفْسَكَ يَا بُنَيَّ الاِنْتِبَاهَ عِنْدَ طُلُوْعِ الْفَجْرِ وَلاَ تَتَحَدَّثْ بِحَدِيْثِ الْدُّنْيَا، فَقَدْ كَانَ الْسَّلَفُ الْصَّالِحُ رَحِمَهُمُ اللهُ لاَ يَتَكَلَّمُوْنَ في ذَلِكَ الوَقْتِ بِشَيءٍ مِنْ أُمُوْرِ الْدُّنْيَا، وَقُلْ عِنْدَ انْتِبَاهِكَ مِنَ النَّوْمِ: «الْحَمْـدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَ مَا أَمَاتَنِي وَإِلَيْه النُّشُوْرُ[2]، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي يُمْسِكُ الْسَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالْنَّاسِ لَرَؤُوْفٌ رَحِيْمٌ[3]».

---

(1) هو محفوظ بن أحمد بن حسن بن حسن، أبو الخطاب العراقي الأزجي شيخ الحنابلة الإمام. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٤٨ ـ).

(2) أخرج البخاري (٦٣١٢ و٦٣١٤ و٦٣٢٤ و٧٣٩٤) والترمذي (٣٤١٣) وأبو داود (٥٠٤٩) والدارمي (٢٦٨٩) وابن ماجة (٣٨٨٠) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، وعن أبي ذر ﷺ قالا: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: باسمك اللهم أحيا وأموت. وإذا استيقظ: قال الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور.

وأخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٩) والترمذي (٣٣٩٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٦٦) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: إذا استيقظ أحدكم من منامه فليقل: الحمـد لله الذي رد علي روحي، وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره.

(3) لقولـه تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحج: ٦٥].

ثُمَّ قُمْ إِلَى الْطَّهَارَةِ وَارْكَعْ سُنَّةَ الْفَجْرِ، وَاخْرُجْ إِلَى الْمَسْجِدِ خَاشِعاً وَقُلْ في طَرِيقِكَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ الْسَّائِلِيْنَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلاَ بَطَراً وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُجِيْرَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوْبِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الْذُّنُوْبِ إِلاَّ أَنْتَ»[1].

وَاقْصُدِ الْصَّلاَةَ إِلَى يَمِيْنِ الإِمَامِ[2]، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْصَّلاَةِ فَقُلْ: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيْتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ»[3]. عَشْرَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ سَبِّح عَشْراً وَاحْمَدْ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢١) رقم (١١١٥٦) وابن السني (٨٣) وابن ماجة (٧٧٨) عن أبي سعيد الخدري. بإسناد ضعيف. وقال الزبيدي في إتحاف السادة (٥/ ٨٩ ـ ٩٠): وأخرجه الدارقطني في الأفراد من هذا الوجه وقال: تفرد به الوازع. وقد قال أبو حاتم وغيره: إنه متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها غير محفوظة. وذكره الذهبي في الميزان (٤٣٨٤) وقال: خالفه أبو نعيم، رواه عن فضيل فما رفعه.

(٢) أخرج أبو داود (٦٧٦) عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف».

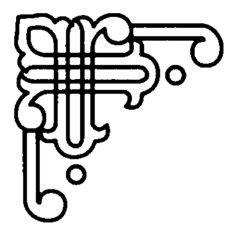
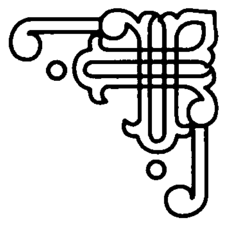
(٣) أخرج البخاري (٨٤٤ و٦٣٣٠ و٦٤٧٣ و٦٦١٥) ومسلم (٥٩٣) عن المغيرة بن شعبة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. =

عَشْراً وَكَبِّرْ عَشْراً[1] وَاقرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَاسْأَلِ اللهَ سُبْحَانَهُ قَبُوْلَ الصَّلاَةِ، فَإِنْ صَحَّ لَكَ فَاجْلِسْ ذَاكِراً اللهَ تَعَالَى إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَتَرْتَفِعَ، ثُمَّ صَلِّ، وَتَرْكَعُ مَا كُتِبَ لَكَ، وَإِنْ كَانَ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فَهُوَ حَسَنٌ.

❑❑❑

= وأخرج مسلم (٥٩٤) والنسائي (٣/ ٧٠) عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما، أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. قال ابن الزبير: وكان رسول الله ﷺ يهل بين دبر كل صلاة.

(١) أخرج أبو داود (٥٠٦٥) والترمذي (٣٤٠٧) وابن ماجة (٩٢٦) وابن السني (٧٤١) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «خصلتان ـ أو خلتان ـ لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، وهما يسيرٌ، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله تعالى في دبر كل صلاة عشراً، ويحمد عشراً، ويكبر عشراً، فذلك خمسون ومئة باللسان، وألف وخمس مئةٍ في الميزان. ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مئة باللسان، وألف بالميزان».

٧ ـ فَصْلٌ

[ترتيب أوقات يومك لطلب العلم]

فَإِذَا أَعَدْتَ دَرْسَكَ إِلَى وَقْتِ الْضُّحَى الأَعْلَى فَصَلِّ الْضُّحَى ثَمَانِ رَكَعاتٍ[١] ثُمَّ تَشَاغَلْ بِمُطَالَعَةٍ أَوْ نَسْخٍ إِلَى وَقْتِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عُدْ إِلَى دَرْسِكَ مِنْ بَعْدِ الْعَصْرِ إِلَى وَقْتِ الْمَغْرِبِ وَصَلِّ بَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ بِجُزْأَيْنِ، فَإِذَا صَلَّيْتَ الْعِشَاءَ فَعُدْ عَلَى دُرُوْسِكَ ثُمَّ اضْطَّجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، فَسَبِّحْ ثَلاَثاً وَثَلاَثِيْنَ وَاحْمَدْ ثَلاَثاً وَثَلاَثِيْنَ، وَكَبِّرْ أَرْبعاً وَثَلاَثِينَ[٢]

---

(١) أخرج البخاري (٣/ ٤٣ و٤٤) ومسلم (٣٣٦) وأبو داود (١٢٩٠ و١٢٩١) والترمذي (٤٧٤) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله قال: ما حدثنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى، غير أم هانىء، فإنها قالت: إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة، فاغتسل وصلى ثماني ركعات، فلم أر صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود.

(٢) أخرج أبو داود (٥٠٦٥) والترمذي (٣٤٠٧) وابن ماجة (٩٢٦) وابن السني (٧٤١) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «خصلتان ـ أو خلتان ـ لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة، وهما يسيرٌ، ومن يعمل بهما قليل: يسبح الله تعالى في دبر كل صلاة عشراً، ويحمد عشراً، ويكبر عشراً، فذلك خمسون ومئة باللسان، وألف وخمس مئةٍ في الميزان. =

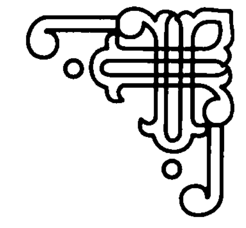
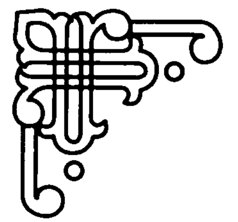
وَقُلْ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ»[1]. وَإِذَا فَتَحْتَ عَيْنَيْكَ مِنَ النَّوْمِ فَاعْلَمْ أَنَّ النَّفْسَ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا فَقُمْ إِلَى الْوُضُوْءِ وَصَلِّ فِي ظَلاَمِ اللَّيْلِ مَا أَمْكَنَ وَاسْتَفْتِحْ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيْفَتَيْنِ ثُمَّ بَعْدَهُمَا رَكْعَتَيْنِ بِجُزْأَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ تَعُوْدُ إِلَى دَرْسِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ نَافِلَةٍ[2].

❐ ❐ ❐

= ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويسبح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مئة باللسان، وألف بالميزان».

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٧ و٢٨٨) وأبو داود (٥٠٤٥) وابن السني (٧٣٢) والترمذي (٣٣٩٥) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٦١ ـ ٧٦٢) عن حفصة أم المؤمنين.

(٢) وهنا نذكر ما نقله ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص٢٥) أنه قال: وروي عن الإمام الشافعي أنه قال: لطلب العلم أفضل من الصلاة نافلة.

٨ ـ فَصْلٌ

[العزلة والتمثل بأخلاق أهل العلم]

وَعَلَيْـكَ بِالْعُـزْلَـةِ[١] فَهِيَ أَصْـلُ كُـلِّ خَيْـرٍ[٢]، وَاحْـذَرْ مِنْ

---

(١) أخرج أحمد في الزهد (ص٣٨٣) والبيهقي في الزهد (١٢١) وابن أبي الدنيا في العزلة وسعيد بن منصور كما في كنز العمال (٣/ ٧٧٥): عن الوليد بن المغيرة قال: قال سعيد بن المسيب: عليك بالعزلة فإنها عبادة.

أخرج الخطابي في العزلة (ص١٧) ووكيع بن الجراح في الزهد (٢/ ٥١٤) والبيهقي في الزهد (١١٨) عن عمر قال: إن في العزلة راحة من أخلاق السوء أو قال: من أخلاط السوء.

أخرج ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٤٣٤) والبيهقي في الزهد (١٢٧) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في العزلة وواحدة في الصمت». وقال البيهقي عقبه: إسناده ضعيف ومتنه مرفوع منكر.

(٢) قال المصنف في صيد الخاطر (ص٢١٠ ـ ٢١٢) رقم (١٦٦): عزلة العالم. ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزاً ولا شرفاً ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة، فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله ﷻ وعند الخلق، لأن الخلق يهون عليهم من يخالطهم، ولا يعظم عندهم قول المخالط لهم، ولهذا عظم قدر الخلفاء لاحتجابهم. وإذا رأى العوام أحد العلماء مترخصاً=

= في أمر مباح هان عندهم فالواجب عليه صيانة علمه وإقامة قدر العلم عندهم، فقد قال بعض السلف: كنا نمزح ونضحك، فإذا صرنا يقتدى بنا فما أراه يسعنا ذلك. وقال سفيان الثوري: تعلموا هذا العلم وأكظموا عليه، ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب. فمراعاة الناس لا ينبغي أن تنكر. وقد قال ﷺ لعائشة: لولا حدثان قومك في الكفر لنقضت الكعبة وجعلتها بابين. وقال أحمد بن حنبل في الركعتين قبل المغرب: رأيت الناس يكرهونها فتركتهما.

ولا تسمع من جاهل يرى مثل هذه الأشياء رياء، إنما هي صيانة للعلم.

وبيان هذا أنه لو خرج العالم إلى الناس مكشوف الرأس أو في يده كسرة يأكلها قل عندهم وإن كان هذا مباحاً، فيصير بمثابة تخليط الطبيب الأمر بالحمية، فلا ينبغي للعالم أن ينبسط عند العوام حفظاً لهم، ومن أراد مباحاً، فليستتر به عنهم. وهذا القدر الذي لاحظه أبو عبيدة حين رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قد قدم الشام راكباً على حمار ورجلاه من جانب، فقال: يا أمير المؤمنين يتلقاك عظماء الناس.

فما أحسن ما لاحظ! إلا أن عمر ﷺ أراد تأديب أبي عبيدة بحفظ الأصل فقال: إن الله أعزكم بالإسلام فمهما طلبتم العزة في غيره أذلكم. والمعنى ينبغي أن يكون طلبكم العز بالدين لا بصور الأفعال، وإن كانت الصور تلاحظ، فإن الإنسان يخلو في بيته عرياناً، فإذا خرج إلى الناس لبس ثوبين وعمامة ورداء، ومثل هذا لا يكون تصنعاً ولا ينسب إلى كبر. وقد كان مالك بن أنس يغتسل ويتطيب ويقعد للحديث.

ولا تلتفت يا هذا إلى ما ترى من بذل العلماء على أبواب السلاطين، فإن العزلة أصون للعالم والعلم، وما يخسره العلماء في ذلك أضعاف ما يربحونه.

وقد كان سيد الفقهاء سعيد بن المسيب لا يغشى الولاة، وعن قول هذا سكتوا عنه. وهذا فعل الحازم. فإن أردت اللذة والراحة فعليك أيها =

جَلِيْسِ الْسُّوْءِ[1]، وَلْيَكُنْ جُلَسَاؤُكَ الْكُتُبُ وَالْنَّظَرُ في سِيَرِ الْسَّلَفِ، وَلاَ

= العالم بعقر بيتك، وكن معتزلاً عن أهلك يطب لك عيشك، واجعل للقاء الأهل وقتاً، فإذا عرفوه تصنعوا للقائك، فكانت المعاشرة بذلك أجود.

وليكن لك في بيتك تخلو فيه وتحادث سطور كتبك وتجري في حلبات فكرك، واحترس من لقاء الخلق وخصوصاً العوام، واجتهد في كسب يعفك عن الطمع، فهذه نهاية لذة العالم في الدنيا. وقد قيل لابن المبارك: ما لك لا تجالسنا؟ فقال: أنا أذهب فأجالس الصحابة والتابعين. وأشار بذلك إلى أنه ينظر إلى كتبه.

ومتى رزق العالم الغنى عن الناس والخلوة، فإن كان له فهم يجلب التصانيف فقد تكاملت لذته، وإن رزق فهناً يرتقي لإلى معاملة الحق ومناجاته فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات.

نسأل الله ﷻ همة عالية تسمو إلى الكمال، وتوفيقاً لصالح الأعمال، فالسالكون طريق الحق أفراد.

(١) فالحذر الحذر منه فإنه قد خالطه إبليس في الأقوال والأفعال إلا أن أفعاله أكثر من أقواله، لأنه صاحب كل غواية، والجالب لكل مفسدة، فأخو الصدق من يصدُقُك وينصحك، لا من يصدِّقك، فإنني إذا أردت أن أعرض الجانب الآخر للصديق الصدوق فهو الناصح المرشد، الآخذ بذمام صاحبه إلى كل سعادة وإخاء، يسير به إلى طريق الفلاح والفوز، لا إلى طريق الخسران، والهوي في النار. فصديق المسجد هو الصديق الحق في غالب الأحيان لأن النبي ﷺ قال: «إن للمساجد أوتاداً الملائكة جُلساؤهم، إن غابوا يفتقدونهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاج أعانوهم». ثم قال: «جليس المسجد على ثلاث خصال: أخٍ مستفادٍ، أو كلمةٍ محكمة، أو رحمة =

= منتظرةٌ». أخرجه أحمد (٢/ ٤١٨) وانظره في مجمع الزوائد (٢٠٢٥) والدر المنثور (٣/ ٢١٦) عن أبي هريرة. فمن هذا يستفاد أن خير جليسٍ للإنسان الملائكة، فهي الباسطة أجنحتها لطالب العلم، ثم نجد أن صديقك قد يفيدك في إعطائك الكلمة الحقة التي تفيدك في أحوال دنياك، أو كلمة عذبة تنهلها نصحاً منه لك، فالصديق الحق هو الجليس الحق، والصديق السوء هو الصديق الذي يرسم لك بوارك وهلاكك.

ولهذا نجد أن الإمام الماوردي قد وضع باباً في كتابه أدب الدنيا والدين (ص٢٦٦ ـ ٢٦٧) في اختيار الإخوان قبل اصطفائهم فقال: فإذا عزم على اصطفاء الإخوان سبَرَ أحوالهم قبل إخائهم، وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفائهم؛ لما تقدم من قول الحكماء: اسبُرْ تَخْبُر. ولا تبعثه الوحدة على الإقدام قبل الخبرة، ولا حسن الظنّ على الاغترار بالتصنع؛ فإن المَلَقَ [أي: القول الحسن مع خبث القلب] مصائد العقول، والنِّفاق تدليس الفِطَن، وهما سجية المتصنع، وليس فيمن يكون النفاق والملق بعض سجاياه خيرٌ يُرجى، ولا صلاح يؤمَّل. ولأجل ذلك قالت الحكماء: اعرف الرجلَ من فعله، لا من كلامه، واعرف محبته من عينه، لا من لسانه. وقال خالد بن صفوان: إنما نفقتُ عند إخواني، لأني لم أستعمل معهم النِّفاق، ولا قصرت بهم عن الاستحقاق. وقال حماد عجرد:

كم من أخٍ لك ليس تنكره ما دمت في دنياك في يسر
متصنع لك في مودته يلقاك بالترحيب والبشر
فإذا عدا ـ والدهر ذو غِيَرٍ ـ دهرٌ عليك عدا مع الدهر
فارفض بإجمال مودة من يقلي المُقِل ويعشقُ المُثري
وعليك من حالاه واحدةٌ في العسر إما كنت واليسر

وَالْعَمَلِ، وَلاَ تَقْنَعْ بِالْدُّوْنِ[1]. فَقَدْ قَالَ الْشَّاعِرُ[2]:

وَلَمْ أَرَ في عُيُوْبِ الْنَّاسِ شَيئاً كَنَقْصِ الْقَادِرِيْنَ عَلَى الْتَّمَامِ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ يَرْفَعُ الأَرَاذِلَ[3] فَقَدْ كَانَ خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ لاَ نَسَبَ لَهُمْ يُذْكَرُ، وَلاَ صُوْرَةَ تُسْتَحْسَنُ.

وَكَانَ **عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ** أَسْوَدَ اللَّوْنِ مُسْتَوْحِشَ الْخِلْقَةِ، وَجَاءَ إِلَيْهِ **سُلَيْمَان بنُ عَبْدِ الْمَلِكِ** ـ وَهُوَ خَلِيْفَةٌ، وَمَعَهُ وَلَدَاهُ ـ فَجَلَسُوا يَسْأَلُوْنَهُ عَنِ الْمَنَاسِكِ، فَحَدَّثَهُمْ وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهُمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ الْخَلِيْفَةُ لِوَلَدَيْهِ: قُوْمَا وَلاَ تَنِيَا وَلاَ تَكَاسَلاَ في طَلَبِ الْعِلْمِ، فَمَا أَنْسَى ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَي هَذَا الْعَبْدِ الأَسْوَدِ[4].

وَكَانَ **الْحَسَنُ** مَوْلَى ـ أَيْ مَمْلُوْكاً ـ **وَابْنُ سِيْرِيْنَ وَمَكْحُولٌ**[5] وَخَلْقٌ كَثِيْرٌ. وَإِنَّمَا شُرِّفُوا بِالْعِلْمِ وَالتَّقْوَى.

❑ ❑ ❑

---

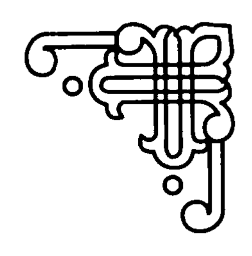
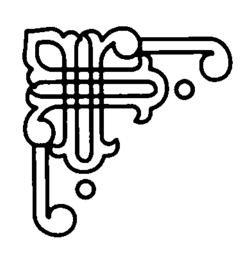
(١) فمن المأثور عنه ما نقله عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧٢): ومن غرر ألفاظه: من قنع، طاب عيشه، ومن طمع، طال طيشه.

(٢) أي: المتنبي.

(٣) وهو الرديء من كل شيء.

(٤) أخرجه المصنف في صفوة الصفوة (١/ ٤٥٩).

(٥) هو مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل، المولى الشامي أبو عبدالله. ترجمة الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ١٥٥).

٩ ـ فَصْلٌ

[القناعة والزهد]

وَاجْتَهِدْ يَا بُنَيَّ في صِيَانَةِ عِرْضِكَ مِنَ التَّعرُّضِ لِطَلَبِ الدُّنْيَا والذُّلِّ لأَهْلِهَا، وَاقْنَعْ⁽¹⁾ تُعَزُّ. فَقَدْ قِيْلَ: مَنْ قَنِعَ بِالْخُبْزِ وَالْبَقْلِ لَمْ يَسْتَعْبِدْهُ أَحَدٌ، وَمَرَّ أَعْرَابِيٌّ عَلَى الْبَصْرَةِ فَقَالَ: مَنْ سَيِّدُ هَذِهِ البَلْدَةِ؟ قِيْلَ لَهُ: الْحَسَنُ الْبَصْريُّ، قَالَ: وَبِمَ سَادَهُمْ؟ قَالُوا: لأَنَّهُ اسْتَغْنَى عَنْ دُنْيَاهُمْ وَافْتَقَرُوْا إِلَى عِلْمِهِ.

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَبِي كَانَ مُوْسِرًا وَخَلَّفَ أُلُوْفاً مِنَ الْمَالِ، فَلَمَّا بَلَغْتُ دَفَعُوا لِي عِشْرِيْنَ دِيْنَاراً وَدَارَيْنِ، وَقَالُوا لِي: هَذِهِ التَّرِكَةُ كُلُّهَا، فَأَخَذْتُ الدَّنَانِيْرَ وَاشْتَرَيْتُ بِهَا كُتُباً مِنْ كُتُبِ العِلْمِ وَبِعْت الدَّارَيْنِ وَأَنْفَقْتُ ثَمَنَهَا في طَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَبْقَ لِي شَيءٌ مِنَ الْمَالِ، وَمَا ذَلَّ أَبُوْكَ في طَلَبِ العِلْمِ قَطّ، وَلاَ خَرَجَ يَطُوْفُ في الْبُلْدَانِ كَغَيْرِهِ مِنَ الْوُعَّاظِ. وَلاَ بَعَثَ رُقْعَةً

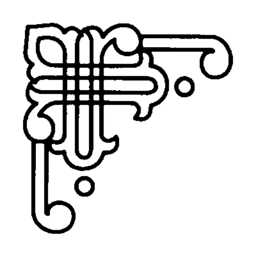
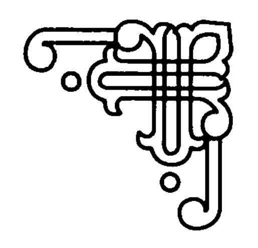
---

(١) لأن القناعة كنز. فقد أخرج البيهقي في الزهد (١٠٤) عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: القناعة كنز لا يفنى. قال البيهقي: هذا إسناد فيه ضعف.
وقال البيهقي في الزهد (٧٨): سألت فضيل بن عياض ما الزهد في الدنيا؟ قال: القنوع هو الزهد، هو الغنى.

إِلَى أَحَدٍ يَطْلُبُ مِنْهُ شَيْئاً قَطُّ . وَأُمُوْرُهُ تَجْرِي عَلَى السَّدَادِ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1] [الطلاق : ٢] .



(١) قال المصنف في صيد الخاطر (ص١٧٧ ـ ١٧٨) رقم (١٣٠) : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ . ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائما، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه . فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ . فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج، فلا ينبغي لمخلوق أن يتوكل أو يتسبب أو يتفكر إلا في طاعة الله تعالى، وامتثال أمره، فإن ذلك سبب لفتح كل مرتج، ثم أعجبه أن يكون من حيث لم يقدره المتفكر المحتال المدبر، كما قال ﷻ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ثم ينبغي للمتقي أن يعلم أن الله ﷻ كافيه فلا يعلق قلبه بالأسباب، فقد قال ﷻ : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ .

١٠ ـ فَصْلٌ

[التقوى وشروط أهلها]

يَا بُنَيَّ: وَمَتَى صَحَّتِ التَّقْوَى[1] رَأَيْـتَ كُلَّ خَيْـرٍ، وَالْمُتَّقِي لاَ يُرَائِي الْخَلْقَ، وَلاَ يَتَعَرَّض لِمَا يُؤْذِي دِيْنَهُ، وَمَنْ حَفِظَ حُدُوْدَ اللهِ حَفِظَهُ اللهُ. قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ لابنِ عِبَّاسٍ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَا: **«احْفَظِ اللهِ يَحْفَظْكَ،**

---

(١) لأن التقوى هي العمل بطاعة الله. أخرج البيهقي في الزهد (٩٦٥) عن عاصم الأحول قال: وقعت الفتنة، فقال طلق بن حبيب: اتقوا الفتنة بالتقوى، فقال بكر بن عبدالله: أجمل لنا التقوى في يسير فقال: التقوى العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله.

والتقوى منال أهل الحق فقد أخرج البيهقي في الزهد (٩٠٥) عن أبي القاسم النصرأباذي قال: التقوى منال الحق قال الله: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[الحج: ٣٧].

والتقوى ما يحجز المؤمن من المعاصي فقد أخرج البيهقي في الزهد (٩١٠) عن الحسن بن علي رحمه الله وقيل له: ما التقوى؟ قال: وقفه على الحرام، قيل: ما الورع؟ قال: وقفه عن الشبهة. وقال: التقوى ما حجزك عن المعاصي قال: وسأله بعضهم ما التقوى؟ فقال: رقيب المولى في قلوب أوليائه.

احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ»[1].

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ يُوْنُسَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمَّا كَانَتْ ذَخِيْرَتُـهُ خَيْراً نَجَا بِهَا مِنَ الشِّدَّةِ. قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤]. وَأَمَّا فِرْعَوْنَ فَلَمَا لَمْ تَكُنْ لَهُ ذَخِيْرَةُ خَيْرٍ لَمْ يَجِدْ فِي شِدَّتِهِ مَخْلَصاً فَقِيْلَ لَهُ: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾[يونس: ٩١] فَاجْعَل لَكَ ذَخَائِرَ خَيْرٍ مِنْ تَقْوَى تَجِدْ تَأْثِيْرَهَا.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ: «مَا مِنْ شَابٍّ اتَّقَى اللهَ فِي شَبَابِهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ فِي كِبَرِهِ»[2]. قَالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف: ٢٢]. وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف: ٩٠].

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوْفَى الذَّخَائِرِ، غَضُّ الطَّرْفِ عَنْ مُحَرَّمٍ، وَإِمْسَاكُ اللِّسَانِ عَنْ فضُوْلِ كَلِمَةٍ، وَمُرَاعَاةُ الْحَدِّ، وَإِيْثَارُ اللهِ سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَى عَلَى هَوَى النَّفْسِ[3]، وَقَدْ عَرَفْتَ حَدِيْثَ الثَّلاَثَةِ الَّذِيْنَ دَخَلُوا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَتْ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣) وأبو يعلى الموصلي (٢٥٥٦). وفيه: تجاهك. بدل: أمامك.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ. ويقرب من معناه ما أخرجه الترمذي (٢٠٩١) عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه». وتكلم عليه شيخنا في تحقيقه لرياض الصالحين للإمام النووي رقم (٣٥٩).

(٣) قال المصنف في صيد الخاطر (ص٢٦٤ ـ ٢٦٥) رقم (٢١٩) هوى النفس: =

= بلغني عن بعض فساق القدماء أنه كان يقول: ما أرى العيش غير أن تتبع النفس هواها فمخطئاً أو مصيباً، فتدبرت حال هذا وإذا به ميت النفس، ليس له أنفةٌ على عرضه ولا خوف عار. ومثل هذا ليس في مسلاخ الآدميين، فإن الإنسان قد يقدم على القتل لئلا يقال جبان، ويحمل الأثقال ليقال ما قصر، ويخاف العار فيصبر على كل آفة من الفقر، وهو يستر ذلك حتى لا يرى بعين ناقصة. حتى أن الجاهل إذا قيل لـه: يا جاهل غضب. واللصوص المتهيؤون للحرام إذا قال أحدهم للآخـر: لا تتكلم، فإن أختك تفعل وتصنع، أخذته الحمية فقتل الأخت.

ومن له نفس لا يقف في مقام تهمة لئلا يظن به.

فأما من لا يبالي أن يُرى سكراناً، ولا يهمه أن شهر بين الناس، ولا يؤلمه ذكر الناس له بالسوء، فذاك في عداد البهائم. وهذا الذي يريد أن يتبع النفس هواها لا يلتذ به إلا أن لا يخاف عنتاً ولا لوماً، ولا يكون له عرض يحذر عليه، فهو بهيمة في مسلاخ إنسان، وإلا فأي عيشٍ لمن شرب الخمر وأخذ عقيب ذلك وضرب وشاع في الناس ما قد فعل به، أما يفي ذلك باللذة؟ لا، بل يربي عليها أضعافاً.

وأي عيش لمن ساكن الكسل إذا رأى أقرانه قد برزوا في العلم وهو جاهل، أو استغنوا بالتجارة وهو فقير، فهل يبقى للالتذاذ بالكسل والراحة معنى. ولو تفكر الزاني بالأحدوثة عنه، أو تصور أخذ الحد منه، لكف الكفَّ، غير أنه يرى لذة حاضرة كأنها لمع برق. ويا شؤم ما أعقبت من طول الأسى، هذا كله في العاجل. فأما الآجل فمنغصة العذاب دائمة، والذين آمنوا مشفقون منها. نسأل الله أنفة من الرذائل، وهمة في طلب الفضائل إنه قريب مجيب.

وقال (ص١٩٦ ـ ١٩٧) رقم (١٥٤) موافقة هوى النفس ومخالفته: قرأت سورة يوسف عليه السلام، فتعجبت من مدحـه عليه السلام على صبـره =

عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ فَقَالَ أَحَدُهُمْ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ وَأَوْلاَد فَكُنْتُ أَقِفُ بِالْحَلِيْبِ عَلَى أَبَوَي أَسْقِيَهُمَا قَبْلَ أَوْلاَدِي، فَإِنْ كُنْتَ فَعَلْتُ ذَلِكَ لأَجْلِكَ فَافْرُجْ عَنَّا، فَانفَرَجَ ثُلُثُ الصَّخْرَةِ. وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيْراً فَتَسَخَّطَ أَجْرَهُ فَاتَّجَرْتُ بِـهِ، فَجَاءَ يَوْمـاً فَقَالَ: أَلاَ تَخَـافُ اللهَ وَتُعْطِيْنِي أُجْرَتِي؟ فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرُعَاتِهَا فَخُذْهَا، فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ لِأَجْلِكَ فَافْرُجْ عَنَّا، فَانْفَرَجَ ثُلُثَا الصَّخْرَةِ، فَقَالَ الآخَرُ: اللَّهمَّ إِنِّي عَلَّقْتُ بِنْتَ عَمٍّ لِي فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللهِ وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا. فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ لأَجْلِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَرُفِعَتِ الصَّخْرَةُ وَخَرَجُوا»[1].

= وشرح قصته للناس ورفع قدره بترك ما ترك، فتأملت خبيئة الأمر فإذا هي مخالفة للهوى المكروه، فقلت: وا عجباً لو وافق هواه من كان يكون؟ ولما قد خالفه لقد صار أمراً عظيماً يضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده. وكل ذلك قد كان بصبر ساعة فياله عزاً وفخراً، يقاوم كل لحظة من ذكره أمثال ساعة الصبر عن المحبوب، وبالعكس منه حالة آدم في موافقته هواه، لقد عادت نقيصة في حقه أبداً لولا التدارك فتاب عليه.

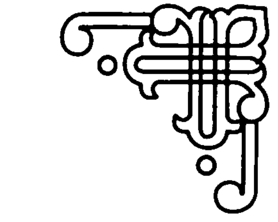
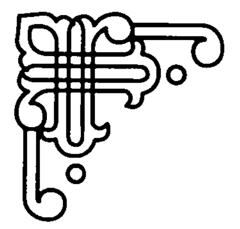
فتلمحوا رحمكم الله عاقبة الصبر ونهاية الهوى، فالعاقل من ميز بين الأمرين: الحلوين والمرين، فإن من عدل ميزانـه ولم تمل بـه كفة الهوى رأى كل الأرباح في الصبر. وكل الخسران في موافقة النفس، وكفى بهذا موعظة في مخالفة الهوى لأهل النهى والله الموفق.

(١) أخرجـه البخاري (٦/ ٣٦٧ و٣٦٨) ومسلم (٢٧٤٣) وأبو داود (٣٣٨٧) والنووي في رياض الصالحين (١٢) بتحقيق شيخنا. وابن الأثير في جامع الأصول (٧٨٢٢).

وَرُؤِيَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فِي الْمَنَامِ، فَقِيْلَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللهُ بِكَ؟ قَالَ: مَا كَـانَ إِلاَّ أَنْ وضعت في اللَّحْـدِ فَإِذَا أَنَـا بَيْنَ يَدَي رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، فَدَخَلَتُ فَإِذَا أَنَا بِقَائِلٍ يَقُولُ: سُفْيَانُ؟ قُلْتُ: سُفْيَان. قَالَ: تَذْكُرُ يَوْماً آثَرتَ اللهَ عَلَى هَوَاكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَخَذَتْنِي صَوَانِي النَّثَار مِنَ الْجَنَّةِ[1].

❐ ❐ ❐

(١) أخرجه المصنف في صفة الصفوة (٢/ ٨٩).

١١ ـ فَصْلٌ

[سمو الهمة للوصول إلى الكمال]

وَيَنْبَغِي أَنْ تَسْمُو هِمَّتُكَ إِلَى الْكَمَالِ، فَإِنَّ خَلْقاً وَقَفُوا مَعَ الزُّهْدِ، وَخَلْقاً تَشَاغَلُوا بِالْعِلْمِ، وَنَدَرَ أَقْوَامٌ جَمَعُوا بَيْنَ الْعِلْمِ الْكَامِلِ وَالْعَمَلِ الْكَامِلِ.

وَاعْلَمْ أَنِّي قَدْ تَصَفَّحْتُ التَّابِعِيْنَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَمَا رَأَيْتُ أَحْظَى بِالْكَمَالِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ:

سَعِيْدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ[1].

وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ[2].

وَسُفْيَانُ الثَّوْرِي[3].

وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ[4] رضي الله عنهم. وَقَدْ كَانُوا رِجَالاً.

وَإِنَّمَا كَانت لَهُمْ هِمَمٌ ضَعُفَتْ عِنْدَنَا، وَقَدْ كَانَ في السَّلَفِ خَلْقٌ كَثِيْرٌ

---

(١) انظر صفة الصفوة (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨١).

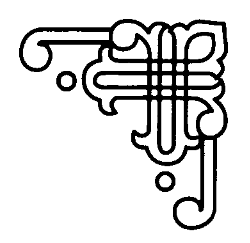
(٢) انظر صفة الصفوة (٢/ ١٣٩ ـ ١٤١).

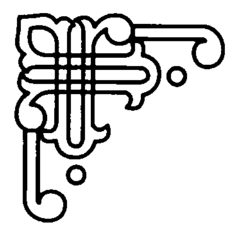
(٣) انظر ما ذكره عنه المصنف في صفة الصفوة (٢/ ٨٧ ـ ٩٠).

(٤) انظر صفة الصفوة (١/ ٥٣٦ ـ ٥٤٨).

لَهُمْ هِمَمٌ عَالِيَةٌ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى أَحْوَالِهِمْ فَانْظُرْ في كِتَابِ صِفَةِ الْصَّفْوَةِ وَإِنْ شِئْتَ تَأَمُّلِ أَخْبَارِ سَعِيْدٍ وَالْحَسَنِ وَسُفْيَانِ وَأَحْمَدَ ﷺ فَقَدْ جَمَعْتُ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُم كِتاباً.

❒ ❒ ❒



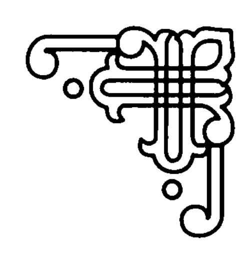


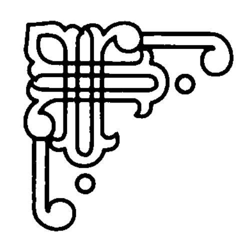
١٢ ـ فَصْلٌ

[تآليف المصنف والحفظ لها]

وَقَدْ عَلِمْتَ يَا بُنَيَّ أَنِّي قَدْ صَنَّفْتُ مِئَةَ كِتَابٍ، فَمِنْهَا التَّفْسِيرُ الْكَبِيْرُ عِشْرُوْنَ مُجَلَّداً، وَالتَّارِيْخُ عِشْرُوْنَ مُجَلَّداً، وَتَهْذِيْبُ الْمُسْنَدِ عِشْرُونَ مُجَلَّداً، وَبَاقِي الكُتُبِ بَيْنَ كِبَارٍ وَصِغَارٍ يَكُوْنُ خَمْسَ مُجَلَّدَاتٍ وَمُجَلَّدَيْنِ وَثَلاَثَةً وَأَرْبَعَةً وَأَقَلَّ وَأَكْثَرَ، كَفَيْتُكَ بِهَذِهِ التَّصَانِيْفِ عَنِ اسْتِعَارَةِ الْكُتُبِ وَجَمْعِ الْهِمَمِ في التَّأْلِيْفِ. فَعَلَيْكَ بِالْحِفْظِ وَإِنَّمَا الْحِفْظُ رَأْسُ الْمَالِ وَالتَّصَرُّفُ رِبْحٌ. وَاصْدُق في الْحَالَيْنِ في الالْتِجَاءِ إِلَى الْحَقِّ سُبْحَانَهُ فَرَاعِ حُدُوْدَهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد: ٧] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢] ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[البقرة: ٤٠].

❐ ❐ ❐



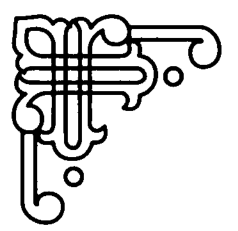
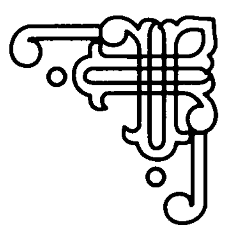


١٣ ـ فَصْلٌ

[اقتضاء العلم العمل]

وَإِيَّاكَ أَنْ تَقِفَ مَعْ صُوْرَةِ الْعِلْمِ دُوْنَ الْعَمَلِ بِهِ، فَإِنَّ الدَّاخِلِيْنَ عَلَى الأُمَرَاءِ وَالْمُقْبِلِينَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ فَمُنِعُوا الْبَرَكَةَ وَالنَّفْعَ بِهِ.

❑ ❑ ❑

١٤ ـ فَصْلٌ

[عدم التشاغل بالتعبد بغير علم]

وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَشَاغَلَ بِالتَّعَبُّدِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ فَإِنَّ خَلْقاً كَثِيْراً مِنَ الْمُتَزَهِّدِيْنَ وَالْمُتَصَوِّفَةِ ضَلُّوا طَرِيْقَ الْهُدى إِذْ عَمِلُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وَاسْتُرْ نَفْسَكَ بِثَوْبَيْنِ جَمِيْلَيْنِ لاَ يُشْهِرَانِكَ بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِرِفْعَتِهِمَا، وَلاَ بَيْنَ الْمُتَزَهِّدِيْنَ بِضَعَتِهِمَا، وَحَاسِبْ نَفْسَكَ عِنْدَ كُلِّ نَظْرَةٍ وَكَلِمَةٍ وَخَطْرَةٍ فَإِنَّكَ مَسْؤُوْلٌ عَنْ ذَلِكَ[1]، وَعَلَى قَدْرِ انْتِفَاعِكَ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ السَّامِعُوْنَ، وَمَتَى لَمْ يَعْمَلِ الْوَاعِظُ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوْبِ[2] كَمَا يَزَالُ الْمَاءُ عَنِ الْحَجرِ.

فَلاَ تَعِظَنَّ إِلاَّ بِنِيَّةٍ وَلاَ تَمْشِيَنَّ إِلاَّ بِنِيَّةٍ، وَلاَ تَأْكُلَنَّ لُقْمَةً إِلاَّ بِنِيَّةٍ[3]،

---

(١) لأنك قد علمت فيما تقدم أنه قد وجد عليك رقيب. فالحذر الحذر.

(٢) فكأنه داخل في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ فهو ينصح الآخرين لكن لا يعمل بالنصائح التي يوجهها لغيره.

(٣) لأن الأعمال بالنيات، فالبنية الصادقة تصلح أعمالك، وتسعد في أخراك.
فقد أخرج القضاعي في مسنده الشهاب (١٤٧) عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «نية المؤمن أبلغ من عمله».

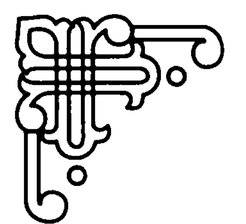
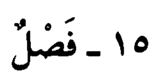
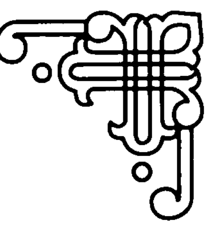
وَمَعَ مُطَالَعَةِ أَخْلاَقِ الْسَّلَفِ يَنْكَشِفُ لَكَ الأَمْرُ[1].



= وأخرج أبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٥) والخطيب في تاريخه (٩/ ٢٣٧) والقضاعي (١٤٨) عن النواس بن سمعان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله، ونية الفاجر شر من عمله». قال الإمام العجلوني في كشف الخفاء (٢٨٣٦): قال ابن الملقن في شرح العمدة: في معناه تسع تأويلات: منها أن نيته خيرٌ من خيرات عمله. ومنها: أن النية المجردة عن العمل خيرٌ من العمل المجرد عنها، وقيل: إنما كانت نية المؤمن خيراً من عمله لأن مكانها مكان المعرفة أعني قلب المؤمن، قال سهل: ما خلق الله مكاناً أعز وأشرف عنده من قلب عبده المؤمن، وما أعطى كرامة للخلق أعز عنده من معرفة الحق، فجعل الأعز في الأعز، فما نشأ من أعز الأمكنة يكون أعز مما نشأ من غيره، قال سهل: فتعس عبد أشغل المكان الذي هو أعز الأمكنة عنده تعالى بغيره سبحانه. . . ولذا قيل: الخلود في الجنة والنار جزاءٌ للنية، ولأنها تسلم عن الرياء، بخلاف العمل.

وقال الإمام ابن عطاء الله الاسكندري في لطائف المتن (ص٢١٨): قال أبو الحسن ﷺ: الدخول في الجنة بالإيمان، والخلود فيها بالنية، والدرجات فيها بالأعمال، والدخول في النار بالشرك، والخلود فيها بالنية، والدركات فيها بالأعمال.

(١) لأنهم هم القدوة بعد النبي الأعظم ﷺ. وهم الذين أخذوا منه ومن أصحابه.

١٥ ـ فَصْلٌ

[مؤنة طالب العلم من التصانيف]

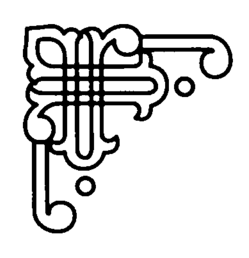
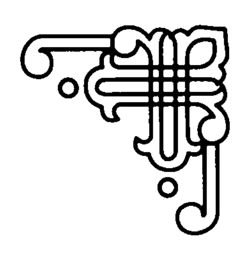
وَعَلَيْكَ بِكِتَابِ مِنْهَاجِ الْمُرِيْدِيْنَ فَإِنَّه يُعَلِّمُكَ الْسُّلُوْكَ، فَاجْعَلْهُ جَلِيْسُكَ وَمُعَلِّمُكَ، وَتلَمَّحْ كِتَابَ صَيْدِ الْخاطِرِ فَإِنَّكَ تَقَعُ بِوَاقِعَاتٍ تُصْلِحُ لَكَ أَمْرَ دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، وَتَحْفَّظْ كِتَابَ جَنَّة النَّظَرِ، فَإِنَّهُ يَكْفِي في تَلْقِيْحِ فَهْمِكَ لِلْفِقْهِ.

وَمَتَى تَشَاغَلْتَ بِكِتَابِ الْحَدَائِقِ أَطْلَعَكَ عَلَى جُمْهُوْرِ الْحَدِيْثِ، وَإِذَا الْتَفَتَّ إِلَى كِتَابِ الْكَشْفِ أَبَانَ لَكَ مَسْتُوْرَ مَا في الْصَّحِيْحَيْنِ مِنَ الْحَدِيْثِ.

وَلاَ تَتَشَاغَلَنَّ بِكُتُبِ التَّفَاسِيْرِ الَّتِي صَنَّفَتْهَا الأَعَاجِمُ، وَمَا تَرَكَ الْمُغْنِي وَزَادُ الْمَسِيْرِ لَكَ حَاجةً في شَيءٍ مِنَ الْتَّفْسِيْرِ.

وَأَمَّا مَا جمَعْتُهُ لَكَ مِنْ كُتُبِ الْوَعْظِ فَلاَ حَاجَةَ لَكَ بَعْدَهَا إِلَى زِيَادةٍ أَصْلاً.



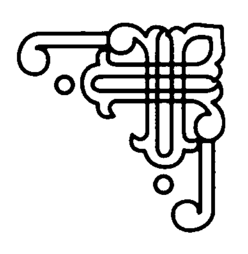
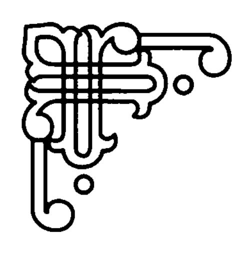



١٦ ـ فَصْلٌ

[مُداراة الخلق والعزلة]

وَكُنْ حَسَنَ الْمُدَارَاةِ لِلْخَلْقِ مَعَ شِدَّةِ الاعْتِزَالِ عَنْهُم، فَإِنَّ الْعُزْلَةَ رَاحةٌ مِنَ خُلَطَاءِ السُّوْءِ وَمُبْقِيَةٌ لِلوقَارِ. فَإِنَّ الْوَاعِظَ ـ خَاصَّةً ـ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ لاَ يُرَى مُتَبَذِّلاً وَلاَ مَاشِياً في الْسُّوْقِ وَلاَ ضَاحِكاً، لِيَحْسُنَ بِهِ الْظَّنَّ فَيُنْتَفَعُ بِوَعْظِهِ، فَإِذَا اضْطَّرَرْتَ إِلَى مُخَالَطَةِ النَّاسِ فَخَالِطْهُمْ بِالْحِلْمِ عَنْهُم، فَإِنَّكَ إِن كَشَفْتَ عَنْ أَخْلاَقِهِمْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مُدَرَاتِهِمْ.

❐ ❐ ❐

١٧ ـ فَصْلٌ

[إعطاء الحق لأهله]

وَأَدِّ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، مِنْ زَوْجَةٍ وَوَلَدٍ وَقَرَابَةٍ، وَانْظُرْ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِكَ بِمَاذَا تَذْهَبُ، فَلاَ تُوْدِعُهَا إِلاَّ أَشْرَفَ مَا يُمْكِنُ، وَلاَ تُهْمِلْ نَفْسَكَ، وَعَوِّدْهَا أَشْرَفَ مَا يَكُوْنُ مِنَ الْعَمَلِ وَأَحْسَنَهُ، وَابْعَثْ إِلَى صُنْدُوْقِ الْقَبْرِ(١) مَا يَسُرُّكَ يَوْمَ الْوُصُوْلِ إِلَيْهِ(٢) كَمَا قِيْلَ:

---

(١) لأن هذا الصندوق كل ما تحصده في حياتك الدنيا، يكون مستقره ومستودعه في ذاك الصندوق المظلم أو المضيء، حيث ميزان أعمالك الحسنة والسيئة، وجاهد نفسك ما استطعت لكي يكون هذا الصندوق كالثوب الأبيض الخالي من الشوائب التي تؤذي لونه. واعلم أن الله يغفر لك، لكن كن حريصاً أشد الحرص على نظافة هذا الصندوق، فبقدر حسناتك ترتقي وتسعد به، وبقدر سيئاتك تتعذب وترحل إلى النيران. فالحذر الحذر من الثانية.

(٢) فمن غرر ألفاظ المصنف قوله: عقارب المنايا تلسع وخدرانُ جسمِ الآمالِ يمنعُ، وماء الحياةِ في إناء العمر يرشح.

ومن شعره:

يا ساكن الدنيا تأهب ... وانتظر يوم الفراق

وأعدَّ زاداً للرحيل ... فسوف يحدى بالرفاق =

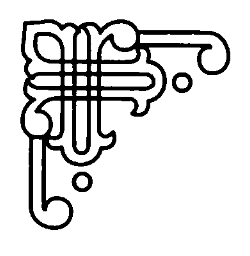
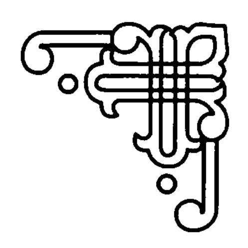
يَــــامَنْ بِــــدُنْيَاهُ اشْــــتَغَلْ	وَغَــــرَّهُ طُــــوْلُ الأَمَــــلْ
الْمَــــوْتُ يَــــأْتِي بَغْتَــــةً	وَالْقَبْــــرُ صُــــنْدُوْقُ الْعَمَــــلْ

وَرَاعِ عَوَاقِبَ الأُمُوْرِ يَهُنْ عَلَيْكَ الصَّبْرُ عَنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِي وَمَا تَكْرَهُ، وَإِنْ وَجَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ غَفْلَةً فَاحْمِلْهَا إِلَى الْمَقَابِرِ وَذَكِّرْهَا قرب الرَّحِيْلِ، وَدبِّر أَمْرَكَ ـ وَاللهُ الْمُدَبِّرُ ـ في إِنْفَاقِكَ مِنْ غَيْرِ تَبْذِيْرٍ، لِئَلاَ تَحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ، فَإِنَّ حِفْظَ الْمَالِ مِنَ الْدِّيْنِ، وَلأَن تُخَلِّفَ لِوَرَثَتِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَحْتَاجَ إِلَى النَّاسِ.

❑ ❑ ❑

= وابــــكِ الــــذنوب بــــأدمع	تنهــل مــن ســحب المــآقي
يــــامن أضــــاع زمانــــه	أرضــيت مــا يفنــى بيــاق

سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٧١ ـ ٣٧٣)

١٨ ـ فَصْلٌ

[نسب المصنف]

يَا بُنَيَّ: وَاعْلَمْ أَنَّنَا مِنْ أَوْلَادِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ ﷺ، وَأَبُوْنَا الْقَاسِمُ [بن][(١)] مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ[(٢)]، وَأَخْبَارُهُ مُوَثَّقةٌ في كِتَابِ صِفَةِ الصَّفْوَةِ[(٣)].

ثُمَّ تَشَاغَلَ سَلَفُنَا بِالتِّجَارَةِ وَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ، فَمَا كَانَ في الْمُتَأَخِّرِيْنَ مَنْ رُزِقَ هِمَّةً في طَلَبِ الْعِلْمِ غَيْرِي، وَقَدْ آلَ الأَمْرُ إِلَيْكَ فَاجْتَهِدْ أَنْ لاَ تُخَيِّبَ ظَنِّي فِيْمَا رَجَوْتُهُ فِيْكَ وَلَكَ، وَقَدْ أَسْلَمْتُ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ

---

(١) زيادة من صفة الصفوة.

(٢) جاء في سير أعلام النبلاء في ذكر نسبه فقال (٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦): جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيدالله بن عبدالله بن حمَّادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبدالله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبدالله بن الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه القاسم بن محمد بن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق القرشي التيمي البكري البغدادي، الحنبلي، الواعظ.

(٣) صفة الصفوة (١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧).

وَتَعَالَى. وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يُوَفِّقَكَ لِلْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. وَهَذَا قَدْرُ اجْتِهَادِي في وَصِيَّتِي، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ.

وَالْحَمْدُ للهِ مَزِيْدَ الْحَامِدِينَ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

* * *

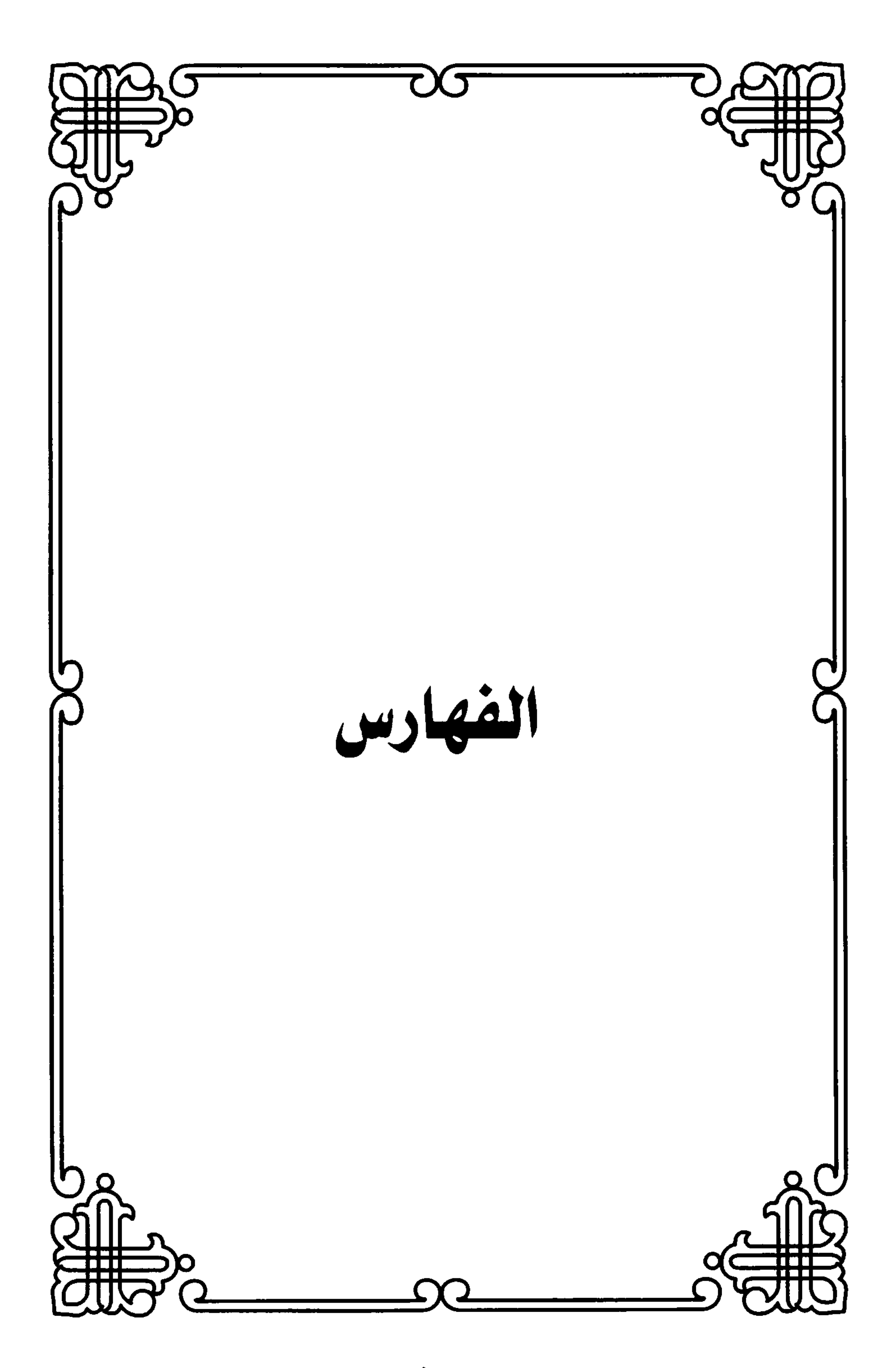
جاء في آخر النسخةِ الْخَطِّيَّةِ التي نقلنا عنها الموجودة بدار الكتب المصرية تحت نمرة ١٢٥ مجاميع ما نصه: آخر كتاب: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد.

والحمد لله رب العالمين وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأكرمين.

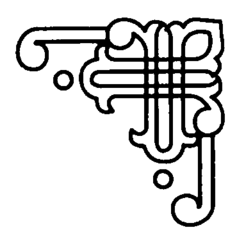
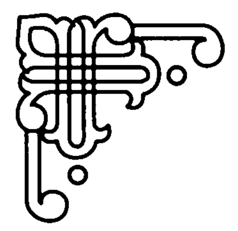
كتب في يوم الإثنين ثالث عشر شعبان المعظم سنة ثلاث وسبع مئة.

وقوبلت بنسخة أخرى موجودة بدار الكتب تحت نمرة ١٢٣ مجاميع وذلك في يوم الأربعاء ٢٣ من رمضان سنة ١٣٤٩ بمعرفة عثمان خليل.





الفهارس

فهرست تآليف المصنف في هذه الرسالة

أخبار أحمد بن حنبل.

أخبار الحسن البصري.

أخبار سعيد بن المسيب.

أخبار سفيان الثوري.

التاريخ والمواعظ.

تهذيب المسند (مسند أحمد بن حنبل).

الحدائق.

جنة النظر.

زاد المسير في علم التفسير.

صيد الخاطر.

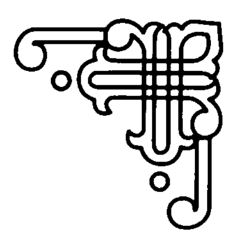
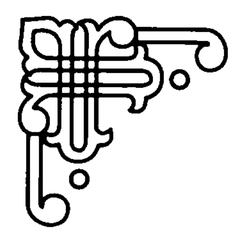
صفة الصفوة.

الكشف.

المغني في التفسير (وهو التفسير الكبير).

منهاج المريدين.



فهرس موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑